



أسئلة مُرَلَّمات
قَضِيَّة السَّيِّح

٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَيْفَ الشَّيْبَانِ
وَيْلِيهِ
سَيِّحُ الْأَصُولِ الْبَسِيَّةِ

لِفَضِيلَةِ السَّيِّحِ الْعَلَامَةِ
مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعِثْمِينِ
عَفَا اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَالْمُسْلِمِينَ

مِنْ إِصْدَارَاتِ
مُؤَسَّسَةِ السَّيِّحِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعِثْمِينِ الْخَبَرِيَّةِ

شرح
كشف الشبهات
وكلية
شرح الأصول الستة

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح

شرح كشف الشبهات ويليهِ شرح الأصول الستة . / محمد بن صالح العثيمين

- الرياض ، ١٤٣٥ هـ

١٨٤ ص: ١٧ × ٢٤ سم (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين: ٥)

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٦٣-١٢-٢

١- التوحيد - ٢- العقيدة الإسلامية. أ- السليمان فهد ناصر (محقق) -

ج- السلسلة

ب- العنوان

١٤٣٥ / ٧٠٢٥

ديوي: ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٥ / ٧٠٢٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٦٣-١٢-٢

حقوق الطبع محفوظة

لِمُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعِثَمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

إلا أن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيرياً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الخامسة عشرة

١٤٤٤ هـ

يُطلب الكتاب من:

مُؤَسَّسَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعِثَمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧ - جوال المبيعات: ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦

www.binothaimeen.net

info@binothaimeen.com



الموزع المعتمد والعصري في جمهورية مصر العربية

دار الدرة الدولية للطباعة والتوزيع

١٣٥ شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - الحي الثامن - بجوار مدارس المنهل الخاصة .

هاتف وفاكس: ٢٢٧٢٠٥٥٢ - محمول: ٠١٠٠٥٥٧٠٤٤

شرح
كشف الشبهات
وبإيضاح
شرح الأصول الستة

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَصَلَّوْا تُ اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ لَصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْعَلَّامَةِ شَيْخِنَا الْوَالِدِ مُحَمَّدَ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، عِنَايَتُهُ الْبَالِغَةُ بِتَدْرِيسِ مُتَوْنِ الْعَقِيدَةِ وَشَرْحِهَا وَالتَّعْلِيقِ عَلَيْهَا وَتَقْرِيْبِهَا لَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْدَّارِسِينَ، وَذَلِكَ لِبَيَانِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَتَقْرِيرِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَتَرْسِيخِهَا.

وَمِنْ حِرْصِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي هَذَا الْمَقَامِ تَنَاوُلَ -بِالشَّرْحِ وَالتَّقْرِيرِ- رِسَالَةَ (كَشَفِ الشُّبُهَاتِ) وَرِسَالَةَ (الْأُصُولِ السَّتَّةِ) وَكِلَاهُمَا مِنْ تَأْلِيفِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمُتَوَفَّى عَامَ (١٢٠٦ هـ)^(١)، تَغَمَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِوَسَائِعِ رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ وَأَسْكَنَهُ فَيْسَحَ جَنَّاتِهِ، وَجَزَاهُ عَمَّا قَدَّمَهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(١) ترجم له الكثيرون، انظر: الأعلام للزركلي (٦/٢٥٧)، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/٦)، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام لابن غنّام (١/٢٠٨، ٢/٩٠٠).

وقد قام الشيخ / فهد بن ناصر السليمان - أثابه الله تعالى - بتفريغ المادة الصوتية
- لكلا الرسالتين - وإعدادهما للطباعة، وعرضهما على فضيلة شيخنا الشارح
- رحمه الله تعالى -، ثم نُشرَا في كتاب عام (١٤١٧ هـ)، وتوالت طبعات الكتاب
- بفضل الله تعالى - بعد ذلك.

وفي هذه الطبعة ألحقنا بهما مذكرة قيّمة حرّرها فضيلته - رحمه الله تعالى - عام
(١٣٧٦ هـ) على رسالة (كشف الشبهات) مُرتبة على السؤال والجواب.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم؛ نافعا لعباده،
وأن يجزي فضيلة شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة
والأجر، ويُعلي درجته في المهديين، إنه سميع قريب مجيب.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيّد
الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين.

القسم العلمي

في مؤسسه الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

١ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ



نُبذةٌ مُختصرةٌ عن

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ

نسبه ومولده:

هُوَ صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ، الْفَقِيهَ الْمَفْسِّرُ، الْوَرَعَ الزَّاهِدُ، مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ عُثَيْمِينَ مِنَ الْوَهْبَةِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

وُلِدَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، عَامَ (١٣٤٧ هـ) فِي عُنَيْزَةِ -إِحْدَى مُدُنِ الْقَصِيمِ- فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

نشأته العلمية:

أَلْحَقَهُ وَالِدُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لِيَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَ جَدِّهِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ الْمَعْلَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّامِغِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ثُمَّ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَشَيْئًا مِنَ الْحِسَابِ، وَالنُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ؛ فِي مَدْرَسَةِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صَالِحِ الدَّامِغِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقَ بِمَدْرَسَةِ الْمَعْلَمِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّحِيتَانِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- حَيْثُ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ وَلَمَّا يَتَجَاوَزِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ بَعْدُ.

وَبَتَوَجُّهِهِ مِنَ وَالِدِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَكَانَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُدَرِّسُ الْعُلُومَ

الشَّرْعِيَّةَ والعَرَبِيَّةَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بَعْنِيزَةً، وَقَدْ رَتَّبَ اثْنَيْنِ ^(١) مِنْ طَلَبْتِهِ الْكِبَارِ لِتَدْرِيسِ الْمُبْتَدِئِينَ مِنَ الطَّلَبَةِ، فَانْضَمَّ الشَّيْخُ إِلَى حَلَقَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَطْوَعِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَتَّى أَدْرَكَ مِنَ الْعِلْمِ - فِي التَّوْحِيدِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ - مَا أَدْرَكَ.

ثُمَّ جَلَسَ فِي حَلَقَةِ شَيْخِهِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَدَرَسَ عَلَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْفِقْهِ، وَالْأُصُولِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالنَّحْوِ، وَحَفِظَ مُخْتَصِرَاتِ الْمُتُونِ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ.

وَيُعَدُّ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُوَ شَيْخُهُ الْأَوَّلُ؛ إِذْ أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ - مَعْرِفَةً وَطَرِيقَةً - أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ عَنْ غَيْرِهِ، وَتَأَثَّرَ بِمَنْهَجِهِ وَتَأَصَّلِيهِ، وَطَرِيقَةِ تَدْرِيسِهِ، وَاتَّبَاعِهِ لِلدَّلِيلِ.

وَعِنْدَمَا كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عودَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَاضِيًا فِي عُنَيْزَةٍ قَرَأَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ أَثْنَاءَ وُجُودِهِ مُدَرِّسًا فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا فُتِحَ الْمَعْهَدُ الْعِلْمِيُّ فِي الرِّيَاضِ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ ^(٢) أَنْ يَلْتَحِقَ بِهِ، فَاسْتَأْذَنَ شَيْخَهُ الْعَلَّامَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَأَذِنَ لَهُ، وَالتَّحَقَّ بِالْمَعْهَدِ عَامِي (١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ).

وَلَقَدْ انْتَفَعَ - خِلَالَ السَّنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ انْتَضَمَ فِيهِمَا فِي مَعْهَدِ الرِّيَاضِ الْعِلْمِيِّ - بِالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُدَرِّسُونَ فِيهِ حِينَئِذٍ، وَمِنْهُمْ: الْعَلَّامَةُ الْمُفَسِّرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنْقِيطِيُّ، وَالشَّيْخُ الْفَقِيه عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ نَاصِرِ بْنِ رَشِيدٍ، وَالشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْإِفْرِيقِيُّ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -.

(١) هما الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَطْوَعِ، وَعَلِيٌّ بْنُ حَمْدِ الصَّالِحِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) هُوَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حَمْدِ الصَّالِحِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -، فقرأ عليه في المسجد: من صحيح البخاري، ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وانتفع به في علم الحديث، والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويعد ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثير به.

ثم عاد إلى عنيزة عام (١٣٧٤هـ)، وصار يدرس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسم فيه شيخه النجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلقة، فبدأ التدريس عام (١٣٧٠هـ) في الجامع الكبير بعنيزة.

ولما تخرج في المعهد العلمي في الرياض عين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة عام (١٣٧٤هـ).

وفي سنة (١٣٧٦هـ) توفّي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدن فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه - رحمه الله - عام (١٣٥٩هـ).

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ - رحمه الله - يدرس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها؛ حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة

تَحْصِيلِ جَادٍّ، لَا لِمُجَرَّدِ الْاسْتِمَاعِ. وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ -إِمَامًا وَخَطِيبًا وَمُدَرِّسًا- حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

بَقِيَ الشَّيْخُ مُدَرِّسًا فِي الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ مِنْ عَامِ (١٣٧٤هـ) إِلَى عَامِ (١٣٩٨هـ) عِنْدَمَا انْتَقَلَ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي كُتَيْبَةِ الشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ بِالْقَصِيمِ، التَّابِعَةِ لْجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَظَلَّ أَسْتَاذًا فِيهَا حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَكَانَ يُدَرِّسُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَرَمَضَانَ وَالْإِجَازَاتِ الصَّيْفِيَّةِ، مُنْذُ عَامِ (١٤٠٢هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَلِلشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أُسْلُوبٌ تَعْلِيمِيٌّ فَرِيدٌ فِي جَوْدَتِهِ وَنَجَاحِهِ، فَهُوَ يُنَاقِشُ طُلَّابَهُ وَيَتَقَبَّلُ أَسْئَلَتَهُمْ، وَيُلْقِي الدُّرُوسَ وَالْمُحَاضَرَاتِ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ وَاثِقَةٍ، مُبْتَهَجًا بِنَشْرِهِ لِلْعِلْمِ وَتَقْرِيْبِهِ إِلَى النَّاسِ.

آثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ:

ظَهَرَتْ جُهُودُهُ الْعَظِيمَةُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- خِلَالَ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا مِنْ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسِ وَالْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلَقَدْ اِهْتَمَّ بِالتَّأْلِيفِ، وَتَحْرِيرِ الْفَتَاوَى وَالْأَجُوبَةِ، الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِالتَّاصِيلِ الْعِلْمِيِّ الرَّصِينِ، وَصَدَرَتْ لَهُ الْعَشْرَاتُ مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَالْفَتَاوَى وَالْخُطَبِ وَاللِّقَاءَاتِ وَالْمَقَالَاتِ، كَمَا صَدَرَ لَهُ آلَافُ السَّاعَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي سَجَلَتْ مُحَاضَرَاتِهِ وَخُطْبَتَهُ وَلِقَاءَاتِهِ وَبَرَامِجَهُ الْإِذَاعِيَّةَ وَدُرُوسَهُ الْعِلْمِيَّةَ؛ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالشُّرُوحَاتِ الْمُتَمَيِّزَةِ لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالتُّونِ وَالْمَنْظُومَاتِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته -رحمه الله تعالى- لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه، ولقاءاته؛ تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية -بِعون الله وتوفيقه- بواجبٍ وشرفِ المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته -رحمه الله تعالى- أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية^(١)، من أجل تجميع الفائدة المرجوة -بِعون الله تعالى-، وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها:

- عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عام (١٤٠٧هـ) حتى وفاته.
- عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في العامين الدراسيين (١٣٩٨ - ١٤٠٠هـ).
- عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين، بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم، ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألف عدداً من الكتب المقررة فيها.

- عُضُوا فِي لُجْنَةِ التَّوْعِيَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، مِنْ عَامِ (١٣٩٢هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، حَيْثُ كَانَ يُلْقِي دُرُوسًا وَمُحَاضِرَاتٍ فِي مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرِ، وَيُفْتِي فِي الْمَسَائِلِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
- تَرَأَسَ جَمْعِيَّةَ تَحْفِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْخَيْرِيَّةِ فِي عُنِيْزَةِ مُنْذُ تَأْسِيسِهَا عَامَ (١٤٠٥هـ) حَتَّى وَفَاتِهِ.
- أَلْقَى مُحَاضِرَاتٍ عَدِيدَةً دَاخِلَ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ عَلَى فِئَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا أَلْقَى مُحَاضِرَاتٍ عَبْرَ الْهَاتِفِ عَلَى تَجْمُّعَاتٍ وَمَرَاكِزِ إِسْلَامِيَّةٍ فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالَمِ.
- مِنْ عُلَمَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ يُجِيبُونَ عَلَى أَسْئَلَةِ الْمُسْتَفْسِرِينَ حَوْلَ أَحْكَامِ الدِّينِ وَأُصُولِهِ؛ عَقِيدَةً وَشَرِيعَةً، وَذَلِكَ عَبْرَ الْبَرَامِجِ الْإِذَاعِيَّةِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَأَشْهَرُهَا بَرْنَامِجُ (نُورٌ عَلَى الدَّرَبِ).
- نَذَرَ نَفْسَهُ لِلْإِجَابَةِ عَلَى أَسْئَلَةِ السَّائِلِينَ؛ مُهَاتِفَةً وَمُكَاتَبَةً وَمُشَافَهَةً.
- رَتَّبَ لِقَاءَاتٍ عِلْمِيَّةً مُجْدَوْلَةً، أُسْبُوعِيَّةً وَشَهْرِيَّةً وَسَنَوِيَّةً.
- شَارَكَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمُؤْتَمَرَاتِ الَّتِي عُقِدَتْ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.
- وَلَآئِهِ يَهْتَمُّ بِالسُّلُوكِ التَّرْبَوِيِّ وَالْجَانِبِ الْوَعْظِيِّ اعْتَنَى بِتَوْجِيهِ الطُّلَّابِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى سُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْجَادِّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، وَعَمَلَ عَلَى اسْتِقْطَابِهِمْ وَالصَّبْرِ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ وَتَحْمُلِ أَسْئَلَتِهِمُ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِأُمُورِهِمْ.
- وَلِلشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَعْمَالٌ عَدِيدَةٌ فِي مَيَادِينِ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَمَجَالَاتِ الْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّعْيِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَكِتَابَةِ الْوَثَائِقِ وَالْعُقُودِ بَيْنَهُمْ، وَإِسْدَاءِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ.

مَكَانَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ:

يُعَدُّ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ -تَأْصِيلاً وَمَلَكَهُ عَظِيمَةً فِي مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ وَاتِّبَاعِهِ وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ وَالْفَوَائِدِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسَبَرِ أَغْوَارِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَانِي وَإِعْرَابًا وَبَلَاغَةً.

وَلَمَّا تَحَلَّى بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْجَلِيلَةِ، وَأَخْلَقَهُمُ الْحَمِيدَةَ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ أَحَبَّهُ النَّاسُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وَقَدَّرَهُ الْجَمِيعُ كُلَّ التَّقْدِيرِ، وَرَزَقَهُ اللهُ الْقَبُولَ لَدَيْهِمْ، وَاطْمَأْنَنُوا لِاخْتِيَارَاتِهِ الْفَقْهِيَّةِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى دُرُوسِهِ وَفَتَاوَاهُ وَآثَارِهِ الْعِلْمِيَّةِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِ عِلْمِهِ، وَيُسْتَفِيدُونَ مِنْ نُصَحِهِ وَمَوَاعِظِهِ.

وَقَدْ مُنِحَ جَائِزَةُ الْمَلِكِ فَيَصَلَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الْعَالَمِيَّةُ لِحُدُومَةِ الْإِسْلَامِ عَامَ (١٤١٤هـ)، وَجَاءَ فِي الْحَيَثِيَّاتِ الَّتِي أَبَدَتْهَا لِحُجَّةُ الْإِخْتِيَارِ لِمَنْحِهِ الْجَائِزَةَ مَا يَأْتِي:

- أَوَّلًا: تَحَلِّيهِ بِأَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي مِنْ أَبْرَزِهَا: الْوَرَعُ، وَرَحَابَةُ الصَّدْرِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالنُّصْحُ لِحَاصَتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ.
- ثَانِيًا: انْتِفَاعُ الْكَثِيرِينَ بِعِلْمِهِ؛ تَدْرِيسًا وَإِفْتَاءً وَتَأْلِيفًا.
- ثَالِثًا: إِقَاوُهُ الْمَحَاضِرَاتِ الْعَامَّةَ النَّافِعَةَ فِي مُخْتَلَفِ مَنَاطِقِ الْمَمْلَكَةِ.
- رَابِعًا: مُشَارَكَتُهُ الْمَفِيدَةَ فِي مُؤْتَمَرَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.
- خَامِسًا: اتِّبَاعُهُ أَسْلُوبًا مُتَمِيزًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَقْدِيمُهُ مَثَلًا حَيًّا لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فِكْرًا وَسُلُوكًا.

عَقِبُهُ:

لَهُ حُمْسَةٌ مِنَ الْبَنِينَ، وَثَلَاثُ مِنَ الْبَنَاتِ، وَبَنُوهُ هُمْ: عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ.

وَفَاتُهُ :

تُوُفِّي - رَحِمَهُ اللهُ - فِي مَدِينَةِ جُدَّةَ، قُبَيْلَ مَغْرِبِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ، عَامَ (١٤٢١هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ صَلَاةِ عَصْرِ يَوْمِ الْحَمِيسِ، ثُمَّ شَيَعَتْهُ تِلْكَ الْأَلَاْفُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَالْحُشُودِ الْعَظِيمَةِ فِي مَشَاهِدَ مُؤَثَّرَةٍ، وَدُفِنَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

وَبَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِي صُلِّيَ عَلَيْهِ صَلَاةُ الْغَائِبِ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ.

رَحِمَ اللهُ شَيْخَنَا رَحْمَةً الْأَبْرَارِ، وَأَسْكَنَهُ فَرْحَ جَنَّاتِهِ، وَمَنْ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَجَزَاهُ عَمَّا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

القِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فهذا شرحٌ يسيرٌ على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى (كشف الشبهات) والذي أورد فيه المؤلفُ بضعَ عشرةَ شبهةٍ لأهل الشرك، وأجاب عنها بأحسنِ إجابةٍ مدعمةٍ بالدليل، مع سهولة المعنى، ووضوح العبارة. أسأل الله تعالى أن يُثيبه على ذلك، وأن ينفع بذلك العباد؛ إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

محمد بن صالح العثيمين



كَشَفُ الشُّبُهَاتِ

بِسْمِ

قال فضيلة الشيخ العلامة مُحَمَّد بن صالح العُثَيمِين رَحِمَهُ اللهُ:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله:

[١] اِبْتَدَأَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - كِتَابَهُ بِالبَّسْمَلَةِ؛ اِفْتِدَاءً بِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّهُ مَبْدُوءٌ بِالبَّسْمَلَةِ، وَاقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ كُتْبَهُ وَرَسَائِلَهُ بِالبَّسْمَلَةِ ^(١).
وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ مُؤَخَّرٍ مُنَاسِبٍ لِلْمَقَامِ، تَقْدِيرُهُ: بِسْمِ اللهِ أَكْتُبُ.

وَقَدَّرْنَاهُ فِعْلًا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ.

وَقَدَّرْنَاهُ مُؤَخَّرًا لِفَائِدَتَيْنِ:

الْأُولَى: التَّبَرُّكُ بِالبَّدْءَةِ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى.

الثَّانِيَةُ: إِفَادَةُ الْحَضَرِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ الْمُتَعَلِّقِ يُفِيدُ الْحَضَرَ.

وَقَدَّرْنَاهُ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّهُ أَدْلٌ عَلَى الْمُرَادِ، فَلَوْ قُلْنَا مَثَلًا عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَقْرَأَ كِتَابًا:

«بِسْمِ اللهِ نَبْتَدِي» مَا يُدْرَى بِإِذَا نَبْتَدِي، لَكِنْ: «بِسْمِ اللهِ نَقْرَأُ» أَدْلٌ عَلَى الْمُرَادِ.

(١) كما في كتابه ﷺ إلى هرقل؛ أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب كيف يكتب الكتاب إلى أهل الكتاب، رقم (٦٢٦٠)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الله^[١] الرَّحْمَنُ^[٢] الرَّحِيمُ^[٣] اعْلَمَ^[٤].....

[١] لَفْظُ الْجَلَالَةِ عَلَّمَ عَلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي تَبِعُهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿إبراهيم: ١-٢﴾ لَا نَقُولُ: إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ «الله» صِفَةٌ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ عَطْفُ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبِيعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَعْرِفُ الْمَعَارِفِ لَفْظُ «الله» لِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٢] الرَّحْمَنُ: اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللَّهِ، لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَمَعْنَاهُ: الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

[٣] الرَّحِيمُ: اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَى غَيْرِهِ.

وَمَعْنَاهُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِلَةِ، فَالرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِلَةِ، فَإِذَا جُمِعَا صَارَ الْمُرَادُ بِالرَّحِيمِ الْمُوَصَّلَ رَحْمَتُهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١]. وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَنِ: الْوَاسِعُ الرَّحْمَةِ.

[٤] الْعِلْمُ هُوَ «إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا».

وَمَرَاتِبُ الْإِدْرَاكِ سِتُّ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَتَقَدَّمَ تَعْرِيفُهُ.

الثَّانِيَةُ: الْجَهْلُ الْبَسِيطُ، وَهُوَ «عَدَمُ الْإِدْرَاكِ بِالْكُلِّيَّةِ».

رَحِمَكَ اللَّهُ^[١] أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - بِالْعِبَادَةِ^[٢]

الثَّالِثَةُ: الْجَهْلُ الْمَرْكَبُ، وَهُوَ «إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ مُخَالَفٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ» وَسُمِّيَ مَرْكَبًا؛ لِأَنَّهُ جَهْلَانٌ: جَهْلُ الْإِنْسَانِ بِالْوَاقِعِ، وَجَهْلُهُ بِحَالِهِ؛ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ عَالِمٌ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ.

الرَّابِعَةُ: الْوَهْمُ، وَهُوَ «إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ اخْتِمَالٍ ضِدِّ رَاجِحٍ».

الخَامِسَةُ: الشَّكُّ، وَهُوَ «إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ اخْتِمَالٍ ضِدِّ مُسَاوٍ».

السَّادِسَةُ: الظَّنُّ، وَهُوَ «إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ اخْتِمَالٍ ضِدِّ مَرْجُوحٍ».

وَالْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: ضَرُورِيٍّ وَنَظَرِيٍّ.

فَالضَّرُورِيُّ مَا يَكُونُ إِدْرَاكُ الْمَعْلُومِ فِيهِ ضَرُورِيًّا، بِحَيْثُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا اسْتِدْلَالٍ، كَالْعِلْمِ بِأَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ، مَثَلًا.

وَالنَّظَرِيُّ مَا يَخْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ كَالْعِلْمِ بِوُجُوبِ النِّيَّةِ فِي الْوُضُوءِ.

[١] أَيُّ: أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا عَلَى مَطْلُوبِكَ، وَتَنْجُو مِنْ مُحْذُورِكَ، فَالْمَعْنَى: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِكَ، وَوَفَّقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا، هَذَا إِذَا أُفْرِدَتِ الرَّحْمَةُ، أَمَّا إِذَا قُرِنَتْ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ لَهَا مَضَى مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرَّحْمَةُ التَّوْفِيقُ لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَصَنِيعُ الْمُؤَلِّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَدُلُّ عَلَى شَفَقَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِالْمُخَاطَبِ.

[٢] التَّوْحِيدُ لُغَةً: مَصْدَرٌ وَحَدٌّ يُوحَدُ، أَيُّ جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِنَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، نَفْيِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَى الْمَوْحَدِ، وَإِثْبَاتِهِ لَهُ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ وَحْدَهُ تَعْطِيلٌ،

= وَالْإِبْتِاتَ وَحْدَهُ لَا يَمْنَعُ الْمُشَارَكَةَ، فَمَثَلًا لَا يَتِمُّ لِلْإِنْسَانِ التَّوْحِيدُ حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَنْفِي الْأُلُوهِيَّةَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى وَيُثَبِّتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: عَرَّفَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التَّوْحِيدَ بِقَوْلِهِ: «التَّوْحِيدُ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْعِبَادَةِ» أَيُّ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، بَلْ تُفَرِّدَهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ؛ حُبَّةً، وَتَعْظِيمًا، وَرَغْبَةً، وَرَهْبَةً.

وَمُرَادُ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التَّوْحِيدُ الَّذِي بُعِثَ الرُّسُلُ لِتَحْقِيقِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَصَلَ الْإِخْلَافُ بِهِ وَالْخِلَافُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَعْمَهُمْ. وَهُنَاكَ تَعْرِيفٌ أَعَمُّ لِلتَّوْحِيدِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ» وَأَنْوَاعُهُ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ «إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ» قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ «إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ بِأَنْ لَا يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا يَعْبُدُهُ كَمَا يَعْبُدُ اللَّهَ، أَوْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ «إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ بِإِبْتِاتِ مَا أَثْبَتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ».

وَهُوَ دِينَ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ ^[١] فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^[٢]

[١] مُرَادُ الشَّيْخ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - هُنَا تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ، فَهُوَ دِينَ الرُّسُلِ، فَكُلُّهُمْ أُرْسِلُوا بِهَذَا الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ التَّوْحِيدُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَدُرَرَتَهُمْ. وَمَنْ أَخْلَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ وَإِنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَإِفْرَادُ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ هُوَ دِينَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَهَذَا هُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٥-٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤].

[٢] هَذَا حَقٌّ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَسُولٌ، وَبِهَذَا نَعْلَمُ خَطَأَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وَفِي الْحَدِيثِ

أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا^[١]

= الصَّحِيحُ فِي قِصَّةِ الشَّفَاعَةِ «أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١).

فَلَا رَسُولَ قَبْلَ نُوحٍ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ.

فَنُوحٌ أَوَّلُ الرُّسُلِ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ.

وَنُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحَدُ الرُّسُلِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُو الْعَزْمِ، وَهُمْ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَنُوحٌ، وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَسُورَةِ الشُّورَى.

[١] يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ الْغُلُوفُ فِي الصَّالِحِينَ، وَقَدْ بَوَّبَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوفُ فِي الصَّالِحِينَ»^(٢).

وَالْغُلُوفُ هُوَ: «مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي التَّعَبِّدِ وَالْعَمَلِ وَالشَّاءِ قَدْحًا أَوْ مَدْحًا» وَالْغُلُوفُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْغُلُوفُ فِي الْعَقِيدَةِ، كَغُلُوفِ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي الصِّفَاتِ، حَتَّى أَدَّى بِهِمْ إِمَّا إِلَى التَّمْثِيلِ أَوْ التَّعْطِيلِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٥٦).

فِي الصَّالِحِينَ^[١].....

وَالْوَسْطُ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِإِبْطَاتِ مَا أُثْبِتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ أَوْ أُثْبِتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْثِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْغُلُوفُ فِي الْعِبَادَاتِ، كَغُلُوفِ الْحَوَارِجِ الَّذِينَ يَرَوْنَ كُفْرَ فَاعِلِ الْكَبِيرَةِ، وَغُلُوفِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهَذَا التَّشَدُّدُ قَابِلُهُ تَسَاهُلُ الْمَرْجِيَةِ؛ حَيْثُ قَالُوا: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ. وَالْوَسْطُ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ فَاعِلَ الْمَعْصِيَةِ نَاقِصُ الْإِيمَانِ بِقَدْرِ الْمَعْصِيَةِ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْغُلُوفُ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَهُوَ التَّشَدُّدُ بِتَحْرِيمِ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَابِلُ هَذَا التَّشَدُّدُ تَسَاهُلُ مَنْ قَالَ بِحِلِّ كُلِّ شَيْءٍ يُنْمِي الْمَالَ وَالْإِقْتِصَادَ، حَتَّى الرَّبَا وَالْغِشَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَالْوَسْطُ أَنْ يُقَالَ: تَحُلُّ الْمُعَامَلَاتُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى الْعَدْلِ، وَهِيَ مَا وَافَقَ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: الْغُلُوفُ فِي الْعَادَاتِ، وَهُوَ التَّشَدُّدُ فِي التَّمَسُّكِ بِالْعَادَاتِ الْقَدِيمَةِ وَعَدَمِ التَّحَوُّلِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا.

أَمَّا إِنْ كَانَتْ الْعَادَاتُ مُتَسَاوِيَةً فِي الْمَصَالِحِ فَإِنَّ كَوْنَ الْإِنْسَانِ يَبْقَى عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ تَلَقِّي الْعَادَاتِ الْوَافِدَةِ.

[١] الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِحَقِّ عِبَادِ اللَّهِ.

وَدًّا، وَسُوءَاعًا، وَيَعُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا^[١]، وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ.....

[١] هَذِهِ أَصْنَافٌ فِي قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانُوا رِجَالًا صَالِحِينَ، وَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُذَّتْ»^(١).

وَهَذَا التَّفْسِيرُ فِيهِ إِشْكَالٌ؛ حَيْثُ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهَا قَبْلَ نُوحٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿٦١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُ الْهَيْكَلُ وَلَا نَذَرُ وَدًّا وَلَا سُوءَاعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿[نوح: ٢١-٢٣] فَظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا يَعْْبُدُونَهُمْ، وَأَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

فَسِيَاقُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، إِلَّا أَنَّ ظَاهِرَ السِّيَاقِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ كَانُوا قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢] دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فَلَا نَبِيَّ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُنْزَلُ آخِرَ الزَّمَانِ وَهُوَ رَسُولٌ. فَنَقُولُ: هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْزِلُ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ مُجَدِّدٌ، بَلْ يَنْزِلُ عَلَى أَنَّهُ حَاكِمٌ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى عِيسَى وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوءَاعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ﴾، رقم (٤٩٢٠).

وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ صُورَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ^[١] أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ وَيُحْجُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا^[٢] وَلَكِنَّهُمْ يُجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَيَبِينُ اللَّهُ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمْ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ،.....

= الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَاتِّبَاعُهُ وَنَصْرُهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. وَهَذَا الرَّسُولُ الْمُصَدِّقُ لِمَا مَعَهُمْ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَمَا صَحَّ ذَٰلِكَ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١)، وَغَيْرِهِ.

[١] أَيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَرَ صُورَ الْأَصْنَامِ، وَذَٰلِكَ يَوْمَ الْفَتْحِ حِينَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَجَدَ حَوْلَهَا وَفِيهَا ثَلَاثَ مِثَّةٍ وَسِتِّينَ صَنَمًا، وَجَعَلَ يَطْعُنُهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحَرَبِيَّةِ وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢) [الإسراء: ٨١].

[٢] أَيُّ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى قَوْمٍ يَتَعَبَّدُونَ، لَكِنَّهَا عِبَادَةٌ بَاطِلَةٌ، مَا أُنْزِلَ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَفْعَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أُمُورِ الْحَيْرِ، لَكِنَّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَمِنْ شَرْطِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ الْمُتَقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ مُسْلِمًا، وَهَؤُلَاءِ غَيْرُ مُسْلِمِينَ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٥٤١-٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٢٨٧)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَمَرْيَمَ وَأَنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ^[١] فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالِإِعْتِقَادَ مُحَضَّرٌ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ، لَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، فَضْلًا عَنِ غَيْرِهِمَا^[٢].

[١] أَيِ أَتَمُّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لِتَقَرُّبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَهُمْ مُقَرَّبُونَ بِأَتَمِّهَا دُونَ اللَّهِ، وَأَتَمِّهَا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَأَتَمُّهُمْ شُفَعَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَكِنْ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ شَفَاعَةُ بَاطِلَةٍ، لَا تَنْفَعُ أَصْحَابَهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرْضَى لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ شُرَكَاهُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَأْذَنَ بِالشَّفَاعَةِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا شَفَاعَةَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَاللَّهُ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ، فَتَعَلَّقَ الْمُشْرِكِينَ بِأَلِهَتِهِمْ يَعْبُدُونَهَا وَيَقُولُونَ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] تَعَلَّقَ بَاطِلٌ غَيْرُ نَافِعٍ، بَلْ هَذَا لَا يَزِيدُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بُعْدًا، عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَرْجُونَ شَفَاعَةَ أَصْنَامِهِمْ بِوَسِيلَةِ بَاطِلَةٍ وَهِيَ عِبَادَةُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ وَسَفَهِهِمْ أَنْ يُحَاوِلُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَا لَا يَزِيدُهُمْ مِنْهُ إِلَّا بُعْدًا.

[٢] يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: إِنَّهُمْ مَا زَالُوا عَلَى هَذَا الْكُفْرِ وَهُوَ عِبَادَةُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ؛ لِتَقَرُّبِهِمْ -بِزَعْمِهِمْ- إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَخَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَالْأَفْهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ وَتَحْتَ نَصْرِهِ وَقَهْرِهِ [١]

وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ حَقٌّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْهَا لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا، فَقَالَ تَعَالَى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿[يس: ٦٠-٦١]﴾.

وَقَوْلُهُ: «يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ» كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].
وَقَوْلُهُ: «مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ» أَي: خَالِصُ حَقِّهِ.

[١] يَقُولُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَءُونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُدَبِّرُ لِلْأُمُورِ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، لَكِنْ هَذَا لَا يَنْفَعُهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا إِقْرَارٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَقَطْ، وَلَا يَنْفَعُ الْإِقْرَارُ بِالرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ الْإِقْرَارُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا^[١]
فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
أَفَلَا تَنْقَوْنَ؟﴾^[٢] [يونس: ٣١].

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِقْرَارَ بِالرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الإِقْرَارَ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ الإِقْرَارَ بِالْأُلُوهِيَّةِ
مُتَضَمِّنٌ الإِقْرَارَ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ دَلِيلٌ مُلْزِمٌ، أَيُّ أَنَّ الإِقْرَارَ دَلِيلٌ مُلْزِمٌ لِمَنْ أَقَرَّ بِهِ أَنْ يُقَرَّ بِالْأُلُوهِيَّةِ؛
لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِلْأُمُورِ، وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ - فَالْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ لَا لِغَيْرِهِ.

وَالثَّانِي: مُتَضَمِّنٌ لِلْأَوَّلِ، يَعْنِي أَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ؛
لِأَنَّهُ لَا يَتَأَلَّهُ إِلَّا لِلرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ الَّذِي يَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لَجَمِيعِ
الْأُمُورِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[١] ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - هُنَا دَلِيلَ مَا قَرَّرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ يُقَرُّونَ بِتَوْحِيدِ
الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَتَى بِهِ عَلَى سَبِيلِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ؛ لِيَكُونَ هَذَا أَمَكْنَ وَأَثْبَتَ وَأَتَمَّ
فِي الْإِسْتِدْلَالِ، فَقَالَ: «فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ... فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ».

[٢] ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَنْقَوْنَ؟﴾ يَعْنِي: إِذَا كُنْتُمْ تُقَرُّونَ بِهَذَا أَفَلَا تَنْقَوْنَ اللَّهَ الَّذِي أَقَرَرْتُمْ
لَهُ بِتَمَامِ الْمُلْكِ وَتَمَامِ التَّدْبِيرِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمَالِكُ لِلسَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ، الْمُخْرِجُ
لِلْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَلِلْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، الْمُدَبِّرُ لَجَمِيعِ الْأُمُورِ. وَهَذَا الْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ^[١] وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْبِرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿

[المؤمنون: ٨٤-٨٩] وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ^[٢] مُقَرَّنُونَ بِهَذَا^[٣]

[١] «وَقَوْلُهُ» يَعْنِي: وَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يُقَرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يُقَرُّونَ بِأَنَّ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُقَرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَيُقَرُّونَ بِأَنَّ يَدَهُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ هَذَا مُلْزِمٌ لَهُمْ بِأَن يَعْْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَيُقَرِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ؛ وَهَذَا جَاءَ تَوْبِيخُهُمْ بِصِغَةِ الْإِسْتِفْهَامِ فِي خِتَامِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ.

وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يُقَرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ كَثِيرَةٌ.

[٢] أَيِ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

[٣] يَعْنِي تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الْهَالِكُ الْمُدَبِّرُ لِحَمِيعِ الْأُمُورِ.

وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^[١] وَعَرَفَتْ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الْإِعْتِقَادَ»^[٢] كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَالِحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ اللَّاتِ، أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى^[٣].

[١] أَيَّ أَنْ إِيْمَانَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْهَالِكُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَعِصِمَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

[٢] أَيَّ إِذَا عَرَفَتْ أَنَّ الَّذِي أَنْكَرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُشْرِكُوا زَمَانِنَا «الْإِعْتِقَادَ» تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَقْرُوا بِهِ لَا يَكْفِي فِي التَّوْحِيدِ، بَلْ وَلَا يَكْفِي فِي الْإِسْلَامِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُقَرِّ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ حَتَّى وَلَوْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يُقْرُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

[٣] يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اضْطَرُّوا إِلَى ذَلِكَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ قَرُبَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ حَقُّ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ.

وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو اللَّاتَ، وَاللَّاتُ بِالتَّشْدِيدِ اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ اللَّتِّ، وَأَصْلُهُ رَجُلٌ

وَعَرَفْتُ^[١] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشَّرِكِ^[٢] وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ
الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ^[٣].....

= كَانَ يُلْتُ السَّوِيقَ لِلْحَجَّاجِ، أَيِ يَجْعَلُ فِيهِ السَّمْنَ وَيُطْعِمُهُ الْحَجَّاجَ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا
عَلَى قَبْرِهِ ثُمَّ عَبَدُوهُ.

وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِكَوْنِهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ
يَعْبُدُ الْأَوْلِيَاءَ؛ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكُلُّ هَذَا مِنْ تَرْيِينِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي ضَلُّوا بِهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

[١] هَذِهِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: «فَإِذَا تَحَقَّقْتَ».

[٢] أَيِ الشَّرِكِ فِي الْعِبَادَةِ؛ حَيْثُ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ مَعَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ
الشَّرِكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ
وَحْدَهُ هُوَ الرَّبُّ، وَأَنَّهُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّينَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُ الشُّوْءَ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ بِمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ إِقْرَارِهِمْ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَحْدَهُ. فَالنَّبِيُّ ﷺ قَاتَلَ هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقَرُّوا بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، بَلِ اسْتَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا
يُقَرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُ، وَلَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

[٣] الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ مَعْنَاهُ: «أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَالْوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ».

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ ^[١] [الرعد: ١٤] وَتَحَقَّقَتْ ^[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ؛ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ ^[٣]

[١] يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَسْتَجِيبُ لَهُمْ بِشَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَيِّنَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ^[٤] [الأحقاف: ٥-٦].

[٢] قَوْلُهُ: «وَتَحَقَّقَتْ» مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «فَإِذَا تَحَقَّقَتْ».

[٣] الدُّعَاءُ عَلَى نَوْعَيْنِ:

الْأَوَّلُ: دُعَاءُ عِبَادَةٍ، بِأَنْ يَتَعَبَّدَ لِلْمَدْعُودِ؛ طَلَبًا لِثَوَابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَصَرَفُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ الْوَعِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

النَّوْعُ الثَّانِي: دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ دُعَاءُ الطَّلَبِ، أَيْ طَلَبُ الْحَاجَاتِ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: دُعَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ يَنْصَمِنُ الْإِفْتِقَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ قَادِرٌ كَرِيمٌ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِشَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُودُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

الْقِسْمُ الثَّانِي: دُعَاءُ الْحَيِّ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مِثْلُ: «يَا فُلَانُ اسْقِنِي» فَلَا شَيْءَ فِيهِ.

وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ^[١].....

= الْقِسْمُ الثَّالِثُ: دُعَاءُ الْمَيِّتِ أَوْ الْغَائِبِ بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ شِرْكٌ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ أَوْ الْغَائِبَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا، فِدْعَاؤُهُ إِيَّاهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

[١] الذَّبْحُ: «إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ».

وَيَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُقْصَدَ بِهِ تَعْظِيمُ الْمَذْبُوحِ لَهُ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ، فَهَذَا عِبَادَةٌ، لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَصَرَفَهُ لِعِزِّهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ،﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الثَّانِي: أَنْ يُقْصَدَ بِهِ إِكْرَامُ الضَّيْفِ، أَوْ وَلِيْمَةٌ لِعُرْسٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا مَأْمُورٌ بِهِ إِمَّا وَجُوبًا أَوْ اسْتِحْبَابًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(١) وَقَوْلِهِ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حِينَ تَزَوَّجَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٢).

الثَّالِثُ: أَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّمَتُّعُ بِالْأَكْلِ أَوْ الْإِتِّجَارُ بِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ، فَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِبَاحَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن خير وكون ذلك كله من الإيمان، رقم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب كيف يدعى للمتزوج، رقم (٥١٥٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق، رقم (١٤٢٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ^[١] وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ^[٢] وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلَّهِ،.....

= فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ [يس: ٧١-٧٢] وَقَدْ يَكُونُ مَطْلُوبًا أَوْ مِنْهَا عَنْهُ حَسْبًا يَكُونُ وَسِيلَةً لَهُ.

[١] النَّذْرُ يُطْلَقُ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عُمُومًا، وَيُطْلَقُ عَلَى النَّذْرِ الْخَاصِّ، وَهُوَ الْإِزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ بِشَيْءٍ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْأَوَّلُ، فَالْعِبَادَاتُ كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

[٢] الْإِسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْعَوْثِ وَالِانْقَاضِ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْهَلَاكِ. وَهُوَ أَقْسَامُ:

الْأَوَّلُ: الْإِسْتِغَاثَةُ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلِهَا، وَهُوَ دَأْبُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

الثَّانِي: الْإِسْتِغَاثَةُ بِالْأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا شَرَكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُوْلاً تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ، فَيَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

الثَّالِثُ: الْإِسْتِغَاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْعَالِمِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ كَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [الفصل: ١٥].

الرَّابِعُ: الْإِسْتِغَاثَةُ بِحَيٍّ غَيْرِ قَادِرٍ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَهُ قُوَّةَ خَفِيَّةٍ، مِثْلَ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِمَشْلُولٍ عَلَى دَفْعِ عَدُوِّ صَائِلٍ. فَهَذَا لَعْوٌ وَسُخْرِيَةٌ بِالْمُسْتَغَاثِ بِهِ، فَيَمْنَعُ لَهُذِهِ

وَعَرَفْتُ^[١] أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ، يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ - عَرَفْتُ^[٢] حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ^[٣].

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^[٤] فَإِنَّ.....

= الْعِلَّةُ، وَلِإِلَّةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّهُ رُبَّمَا اغْتَرَّ بِذَلِكَ غَيْرُهُ، فَتَوَهَّمَ أَنَّ هَذَا الْمُسْتَغَاثَ بِهِ - وَهُوَ عَاجِزٌ - أَنَّ لَهُ قُوَّةَ خَفِيَّةٍ يُنْقِذُ بِهَا مِنَ الشَّدَةِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَعَرَفْتُ» مَعْطُوفٌ عَلَى «تَحَقَّقَتْ» الْأُولَى.

[٢] قَوْلُهُ: «عَرَفْتُ» جَوَابُ «فَإِذَا تَحَقَّقَتْ» وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا.

[٣] قَرَّرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ اللَّهِ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يُقَرِّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَبَاحَ النَّبِيُّ ﷺ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّا يَعْبُدُونَهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنَّ يُقَرَّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣] فَهُمْ مُقَرَّبُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَغَيْرَهُمْ لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ.

[٤] قَوْلُهُ: «وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَيُّ أَنَّ التَّوْحِيدَ

الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَيُّ: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ عَزَّجَلَّ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَعْنَاهَا لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ عَزَّجَلَّ وَلَيْسَ مَعْنَاهَا:

إِلَٰهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جَنِيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ إِلَٰهَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِالْإِلَٰهَةِ مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ «السَّيِّدِ» فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ «لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ»^[١].

وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ^[٢] مَعْنَاهَا لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا وَالْكَفَارُ الْجَهْلُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّعَلُّقِ بِهِ، وَالْكَفَرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛

= لَا خَالِقَ، أَوْ لَا رَازِقَ، أَوْ لَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ: لَا قَادِرَ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ إِلَّا اللَّهُ - كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ -؛ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُنْكِرُهُ الْمُشْرِكُونَ وَلَا يَرُدُّونَهُ، وَإِنَّمَا يَرُدُّونَ مَعْنَى «لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ» أَي: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ٥ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَسْأَلُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ ﴿[ص: ٥-٧]

[١] يُرِيدُ رَحِمَةُ اللَّهِ بَيَانُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُرِيدُونَ بِقَوْل: «لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ» أَي: لَا مُدَبِّرَ وَلَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا يُنْكِرُونَ مَعْنَاهَا «لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ» وَهَذَا الَّذِي بَدَأَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ وَأَعَادَ إِنَّمَا قَالَهُ لِلتَّأْكِيدِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّمَا لَا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ أَوْ غَيْرَهُمْ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَلَسْنَا نَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ أَوْ يَرْزُقُونَ.

[٢] قَوْلُهُ: «مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ» أَيِ قَوْل: «لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ قُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [١] [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ [٢] فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الْكُفَّارِ [٣] بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ.....

[١] هَذِهِ الْجُمْلَةُ كَالَّتِي قَبْلَهَا، يُبَيِّنُ فِيهَا رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ فَهَمُوا هَذَا مِنْهَا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا مُجَرَّدَ لَفْظِهَا، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، وَلِهَذَا أَنْكَرُوهُ، مَعَ أَنَّهُمْ لَا يُنْكِرُونَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ.

[٢] أَيَّ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ.

[٣] يُرِيدُ الْمُؤَلَّفُ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» حَيْثُ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا دُونَ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا وَاعْتِقَادِهِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، أَيُّ: لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا رَازِقَ إِلَّا اللَّهُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُفَسِّرُهَا بِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا «إِخْرَاجُ الْيَقِينِ الصَّادِقِ عَنْ ذَاتِ الْأَشْيَاءِ، وَإِدْخَالُ الْيَقِينِ الصَّادِقِ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ» وَهَذَا التَّفْسِيرُ بَاطِلٌ لَمْ يَعْرِفْهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنْ تَتَيَقَّنَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتُخْرِجَ الْيَقِينَ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ؛ فَإِنَّ الْيَقِينَ نَابِتٌ فِي غَيْرِ اللَّهِ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿التكاثر: ٦-٧﴾ وَتَتَيَقَّنُ الْأَشْيَاءَ الْوَاقِعَةَ الْحَسِّيَّةَ الْمَعْلُومَةَ لَا يُنَافِي التَّوْحِيدَ.

الْقَلْبِ لَشَيْءٍ مِنَ الْمَعَانِي، وَالْحَادِثُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ» فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالٍ الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ^[١] وَعَرَفْتَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^[٢] [النساء: ٤٨] وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي.....

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُفْسِّرُهَا بِأَنَّهُ «لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ» وَهَذَا التَّعْرِيفُ لَا يَصِحُّ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَيَكُونُ هَؤُلَاءِ أَجْهَلَ مِنَ الْجُهَّالِ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ مَعْنَاهَا مَا لَا يَعْرِفُهُ هَؤُلَاءِ. [١] أَيَّ عَرَفْتَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الْحَقِيقِيَّ، وَأَنَّ مَعْنَاهَا «لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ».

[٢] اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَلْ تَشْمَلُ كُلَّ الشَّرْكِ أَمْ أَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالشَّرْكِ الْأَكْبَرِ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: تَشْمَلُ كُلَّ شَرْكِ وَلَوْ كَانَ أَصْغَرَ كَالْحَلِيفِ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا خَاصَّةٌ بِالشَّرْكِ الْأَكْبَرِ، فَهُوَ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ.

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ اخْتَلَفَ كَلَامُهُ، فَمَرَّةً قَالَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ^(١)، وَمَرَّةً قَالَ بِالْقَوْلِ الثَّانِي^(٢).

(١) المستدرک علی مجموع الفتاوی (٣/ ١٩٣).

(٢) الرد علی البکری (١/ ٣٠٠-٣٠١).

أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ^[١]
وَعَرَفْتُ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا^[٢].

أَفَادَكَ^[٣] فَأَيْدَتَيْنِ^[٤]: الْأُولَى الْفَرْحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الشَّرِكِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الْعُمُومَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ
دَاخِلًا فِيهِ الْأَصْغَرُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: ﴿أَنْ﴾ وَمَا بَعْدَهَا فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ
تَقْدِيرُهُ «إِشْرَاكَ بِهِ» فَهُوَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَتُفِيدُ الْعُمُومَ.

[١] وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ:
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

[٢] أَيِّ بِمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْعَجَبُ
مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ...» إلخ.

[٣] قَوْلُهُ: «أَفَادَكَ» جَوَابُ قَوْلِهِ: «إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ...» إلخ.

[٤] يَخْصُلُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ عَلَيْكَ حَتَّى عَرَفْتَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ
الْعَظِيمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ، وَالْفَرْحُ بِمِثْلِ هَذَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ، وَدَلِيلُهُ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾ وَفَرَحُ الْعَبْدِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ، كَمَا جَاءَ

وَأَفَادَكَ أَيضًا الْخَوْفَ الْعَظِيمَ^[١].

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعَذِّرُ بِالْجَهْلِ^[٢] وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يُظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ.....

= فِي الْحَدِيثِ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»^(١).

[١] أَيِ مَنْ أَنْ تَقَعَ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْجَهْلِ بِمَعْنَاهَا وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ فِي ذَلِكَ.

[٢] تَعْلِيْقُنَا عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَوَّلًا: لَا أَظُنُّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَرَى الْعُذْرَ بِالْجَهْلِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ تَفْرِيطٌ بِتَرْكِ التَّعَلُّمِ، مِثْلَ أَنْ يَسْمَعَ بِالْحَقِّ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَعَلَّمُ، فَهَذَا لَا يُعَذِّرُ بِالْجَهْلِ، وَإِنَّمَا لَا أَظُنُّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْخِ؛ لِأَنَّ لَهُ كَلَامًا آخَرَ يَدُلُّ عَلَى الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، فَقَدْ سُئِلَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَمَّا يَقَاتِلُ عَلَيْهِ؟ وَعَمَّا يَكْفُرُ الرَّجُلُ بِهِ؟

فَأَجَابَ: أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةُ، أَوَّلُهَا الشَّهَادَتَانِ، ثُمَّ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعَةُ؛ فَلَا رَيْبَ إِذَا أَقَرَّ بِهَا، وَتَرَكَهَا تَهَاوُنًا، فَنَحْنُ وَإِنْ قَاتَلْنَاهُ عَلَى فِعْلِهَا، فَلَا نُكْفِّرُهُ بِتَرْكِهَا، وَالْعُلَمَاءُ اخْتَلَفُوا فِي كُفْرِ التَّارِكِ لَهَا كَسَلًا مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ، وَلَا نُكْفِّرُ إِلَّا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ، وَهُوَ: الشَّهَادَتَانِ.

وَأَيْضًا: نُكْفِّرُهُ بَعْدَ التَّعْرِيفِ إِذَا عُرِفَ وَأُنْكَرَ، فَنَقُولُ: أَعْدَاؤُنَا مَعَنَا عَلَى أَنْوَاعِ:

النُّوعِ الْأَوَّلِ: مَنْ عَرَفَ أَنَّ التَّوْحِيدَ دِينُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِي أَظْهَرَنَاهُ لِلنَّاسِ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم (١٩٠٤)، ومسلم:

كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

= وَأَقَرَّ أَيْضًا أَنَّ هَذِهِ الْإِعْتِقَادَاتِ فِي الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالْبَشَرِ - الَّذِي هُوَ دِينُ غَالِبِ النَّاسِ - أَنَّهُ الشِّرْكَ بِاللَّهِ، الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ يَنْهَى عَنْهُ، وَيُقَاتِلُ أَهْلَهُ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَلَا تَعَلَّمَهُ، وَلَا دَخَلَ فِيهِ، وَلَا تَرَكَ الشِّرْكَ - فَهُوَ كَافِرٌ، نُقَاتِلُهُ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ دِينَ الرَّسُولِ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ، وَعَرَفَ الشِّرْكَ فَلَمْ يَتْرُكْهُ، مَعَ أَنَّهُ لَا يُبْغِضُ دِينَ الرَّسُولِ، وَلَا مَنْ دَخَلَ فِيهِ، وَلَا يَمْدَحُ الشِّرْكَ، وَلَا يُزِينُهُ لِلنَّاسِ.

النُّوعُ الثَّانِي: مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي سَبِّ دِينِ الرَّسُولِ، مَعَ ادِّعَائِهِ أَنَّهُ عَامِلٌ بِهِ، وَاسْتَمَرَّ فِي مَدْحِ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى مَنْ وَحَدَ اللَّهُ وَتَرَكَ الشِّرْكَ، فَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَلِنْ نَكُونُوا آمِنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

النُّوعُ الثَّالِثُ: مَنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ، وَأَحَبَّهُ، وَاتَّبَعَهُ، وَعَرَفَ الشِّرْكَ، وَتَرَكَهُ، وَلَكِنْ يَكْرَهُ مَنْ دَخَلَ فِي التَّوْحِيدِ، وَيُحِبُّ مَنْ بَقِيَ عَلَى الشِّرْكَ، فَهَذَا أَيْضًا كَافِرٌ، فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]

النُّوعُ الرَّابِعُ: مَنْ سَلِمَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَلَدِهِ يُصَرِّحُونَ بِعِدَاوَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَاتَّبَاعِ أَهْلِ الشِّرْكَ، وَسَاعِينَ فِي قِتَالِهِمْ، وَيَتَعَذَّرُ بِأَنَّ تَرَكَ وَطَنِهِ يَشُقُّ عَلَيْهِ، فَيُقَاتِلُ أَهْلَ التَّوْحِيدِ مَعَ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَيُجَاهِدُ بِأَلِيهِ وَنَفْسِهِ، فَهَذَا أَيْضًا كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ يَأْمُرُونَهُ بِتَرْكِ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الصِّيَامُ إِلَّا بِفِرَاقِهِمْ فَعَلَّ، وَلَوْ يَأْمُرُونَهُ بِتَزْوِجِ

= امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل، وموافقتههم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله -أكبر من ذلك بكثير كثير؛ فهذا أيضًا كافر، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَنَا مُبِينًا﴾ [النساء: ٩١] فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبُهتان فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه.

فكل هذا من الكذب والبُهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا: لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من يبتهم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَنٍ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

بل نكفر تلك الأنواع الأربعة؛ لأجل محادتهم لله ورسوله، فرحم الله امرأً نظرت نفسه، وعرف أنه ملاق الله، الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

تِمَّة:

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافًا لفظيًا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين،

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٢-١٠٤).

= أَيَّ أَنَّ الْجَمِيعَ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُفْرٌ، أَوْ هَذَا الْفِعْلَ كُفْرٌ، أَوْ هَذَا التَّرْكَ كُفْرٌ، وَلَكِنْ هَلْ يَصْدُقُ الْحُكْمُ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ لِقِيَامِ الْمُقْتَضِي فِي حَقِّهِ وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ أَوْ لَا يَنْطَبِقُ؛ لِفَوَاتِ بَعْضِ الْمُقْتَضِيَّاتِ، أَوْ وُجُودِ بَعْضِ الْمَوَانِعِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْلَ بِالْمُكْفَرِ عَلَى نَوْعَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مِنْ شَخْصٍ يَدِينُ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ أَوْ لَا يَدِينُ بِشَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِيَالِهِ أَنْ دِينًا يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَهَذَا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا. وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْقَوْلُ الرَّاجِحُ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ إِلَّا بِذَنْبٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَإِنَّمَا قُلْنَا: تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ أَحْكَامُ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْطَى حُكْمُهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا بِأَنَّ الرَّاجِحَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ كَثِيرَةٌ، ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (طَرِيقِ الْهَجْرَتَيْنِ)^(١) عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى الْمَذْهَبِ الثَّامِنِ فِي أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ تَحْتَ الْكَلَامِ عَلَى الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ.

النَّوعُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مِنْ شَخْصٍ يَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ عَاشَ عَلَى هَذَا الْمُكْفَرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِيَالِهِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلَا نَبَهُهُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا. أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ،

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٩٦).

= وَالسُّنَّةُ، وَأَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ:

فَمِنْ أَدِلَّةِ الْكِتَابِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ عَائِنَتَنَا

وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

[النساء: ١٦٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا

يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا

إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ

أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْهِمَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى

وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١/ ١٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - يَعْنِي أُمَّةَ الدَّعْوَةِ - يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وَأَمَّا كَلَامُ أَهْلِ الْعِلْمِ: فَقَالَ فِي الْمَغْنِيِّ (٨ / ١٣١): «فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ الْوُجُوبَ كَحَدِيثِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّاشِئِ بِغَيْرِ دَارِ الْإِسْلَامِ، أَوْ بَادِيَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْأَمْصَارِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ لَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ».

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي الْفَتَاوِي (٣ / ٢٢٩) مَجْمُوعُ ابْنِ قَاسِمٍ: «إِنِّي دَائِمًا - وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي - مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إِلَى تَكْفِيرٍ، وَتَنْفِيسٍ، وَمَعْصِيَةٍ، إِلَّا إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرَّسَالِيَّةُ الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً، وَفَاسِقًا أُخْرَى، وَعَاصِيًا أُخْرَى، وَأَنِّي أَقَرُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَايَاهَا، وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَارَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرٍ، وَلَا بِفُسْقٍ، وَلَا بِمَعْصِيَةٍ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَكُنْتُ أَبُيِّنُ أَنَّ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِتَكْفِيرٍ مَنْ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ أَيْضًا حَقٌّ، لَكِنْ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِينِ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَالتَّكْفِيرُ هُوَ مِنَ الْوَعِيدِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَكِنْ الرَّجُلُ قَدْ يَكُونُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ، أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةِ بَعِيدَةٍ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ بِجَحْدِ مَا يَجْحَدُهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَمْ يَسْمَعْ تِلْكَ النَّصُوصَ أَوْ سَمِعَهَا وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ، أَوْ عَارَضَهَا عِنْدَهُ مُعَارِضٌ آخَرٌ أَوْ جَبَّ تَأْوِيلُهَا وَإِنْ كَانَ مُحْطِئًا» اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ (٥٦/١) مِنَ الدَّرَرِ السَّيِّئَةِ: «وَأَمَّا التَّكْفِيرُ فَأَنَا أَكْفَرُ مَنْ عَرَفَ دِينَ الرَّسُولِ، ثُمَّ بَعْدَمَا عَرَفَهُ سَبَّهُ، وَنَهَى النَّاسَ عَنْهُ، وَعَادَى مَنْ فَعَلَهُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَكْفَرُهُ». وَفِي (ص ٦٦): «وَأَمَّا الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ فَقَوْلُهُمْ: إِنَّا نَكْفِرُ بِالْعُمُومِ، وَنُوجِبُ الْهَجْرَةَ إِلَيْنَا عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِ، فَكُلُّ هَذَا مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ الَّذِي يَصُدُّونَ بِهِ النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَإِذَا كُنَّا لَا نَكْفُرُ مَنْ عَبْدَ الصَّنَمِ الَّذِي عَلَى عَبْدِ الْقَادِرِ وَالصَّنَمِ الَّذِي عَلَى أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ وَأَمْثَالَهُمَا؛ لِأَجْلِ جَهْلِهِمْ، وَعَدَمِ مَنْ يُبَيِّهُهُمْ، فَكَيْفَ نَكْفُرُ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ إِذَا لَمْ يَهَاجِرْ إِلَيْنَا أَوْ لَمْ يُكْفَرْ وَيُقَاتِلْ» اهـ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا مُقْتَضًى نُصُوصِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَكَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَهُوَ مُقْتَضًى حُكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ، فَلَنْ يُعَذِّبَ أَحَدًا حَتَّى يَعْذَرَ إِلَيْهِ. وَالْعُقُولُ لَا تَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحُقُوقِ، وَلَوْ كَانَتْ تَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ لَمْ تَتَوَقَّفِ الْحُجَّةُ عَلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

فَالْأَصْلُ فِيْمَنْ يَنْتَسِبُ لِلْإِسْلَامِ بَقَاءُ إِسْلَامِهِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ زَوَالُ ذَلِكَ عَنْهُ بِمُقْتَضَى الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ، وَلَا يَجُوزُ التَّسَاهُلُ فِي تَكْفِيرِهِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مَخْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: افْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحُكْمِ، وَعَلَى الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ فِي الْوَصْفِ الَّذِي تَبَزَّهَ بِهِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَوَاضِحٌ؛ حَيْثُ حَكَمَ بِالْكَفْرِ عَلَى مَنْ لَمْ يُكْفِرْهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَهُوَ كَمَنْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالتَّكْفِيرِ أَوْ عَدَمِهِ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ كَالْحُكْمِ بِالتَّحْرِيمِ أَوْ عَدَمِهِ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَلَاكُنْهُ وَصَفَ الْمُسْلِمَ بِوَصْفٍ مُضَادٍّ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَافِرٌ، مَعَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَحَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَعُودَ وَصَفُ الْكُفْرِ عَلَيْهِ؛ لِمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»^(٢). وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، - أَوْ قَالَ: - عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^(٣) يَعْني رَجَعَ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ» يَعْني فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: «وَلَيْسَ كَذَلِكَ» يَعْني فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا هُوَ الْمَحْذُورُ الثَّانِي، أَعْنِي: عَوْدَ وَصْفِ الْكُفْرِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ أَخُوهُ بَرِيئًا مِنْهُ، وَهُوَ مَحْذُورٌ عَظِيمٌ، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ مَنْ تَسَرَّعَ بِوَصْفِ الْمُسْلِمِ بِالْكَفْرِ كَانَ مُعْجَبًا بِعَمَلِهِ مُحْتَقِرًا لِغَيْرِهِ، فَيَكُونُ جَامِعًا بَيْنَ الْإِعْجَابِ بِعَمَلِهِ الَّذِي قَدْ يُؤَدِّي إِلَى حُبُوطِهِ، وَبَيْنَ الْكِبَرِ الْمَوْجِبِ لِعَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّارِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَ عَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم (٦١٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم (١١١/٦٠).

(٢) لفظ مسلم: كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم (٦٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم (٦٠٤٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٦١).

(٤) أخرجه أحمد (٤١٤/٢)، وأبو داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه:

فَالوَاجِبُ قَبْلَ الْحُكْمِ بِالتَّكْفِيرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ هَذَا مُكْفَّرٌ؛ لِثَلَا يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ.

الثَّانِي: انْطِبَاقُ الْحُكْمِ عَلَى الشَّخْصِ الْمَعِينِ بِحَيْثُ تَتِمُّ شُرُوطُ التَّكْفِيرِ فِي حَقِّهِ، وَتَتَنَفَّى الْمَوَانِعُ.

وَمِنْ أَهَمِّ الشُّرُوطِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمُخَالَفَتِهِ الَّتِي أَوْجَبَتْ كُفْرَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فَاشْتَرَطَ لِلْعُقُوبَةِ بِالنَّارِ أَنْ تَكُونَ الْمَشَاقَّةُ لِلرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْهُدَى لَهُ.

وَلَكِنْ هَلْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ يَكْفِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالمُخَالَفَةِ وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا؟

الْجَوَابُ: الثَّانِي؛ أَيُّ أَنَّ مُجَرَّدَ عِلْمِهِ بِالمُخَالَفَةِ كَافٍ فِي الْحُكْمِ بِمَا تَقْتَضِيهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْجَبَ الْكُفَّارَةَ عَلَى الْمُجَامِعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ^(١)؛ لِعِلْمِهِ بِالمُخَالَفَةِ مَعَ جَهْلِهِ بِالْكُفَّارَةِ؛ وَلِأَنَّ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ الْعَالِمَ بِتَحْرِيمِ الزَّنا يُرْجَمُ وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى زِناهُ، وَرَبَّمَا لَوْ كَانَ عَالِمًا مَا زَنَا.

= كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، رقم (١٩٣٦)، ومسلم: كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم...، رقم (١١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنَ الْمَوَانِعِ مِنَ التَّكْفِيرِ أَنْ يُكْرَهَ عَلَى الْمُكْفِرِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَمِنَ الْمَوَانِعِ أَنْ يُغْلَقَ عَلَيْهِ فِكْرُهُ وَقَصْدُهُ، بِحَيْثُ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لِشِدَّةِ فَرَحٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ خَوْفٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢١٠٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأْتُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

وَمِنَ الْمَوَانِعِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ لَهُ شُبْهَةٌ تَأْوِيلٍ فِي الْكُفْرِ، بِحَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ؛ لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَتَعَمَّدِ الْإِثْمَ وَالْمُخَالَفَةَ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] وَلِأَنَّ هَذَا غَايَةُ جُهْدِهِ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ فِي الْمُغْنِيِّ (١٣١ / ٨): «وَإِنْ اسْتَحَلَّ قَتْلَ الْمُعْصُومِينَ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ شُبْهَةٍ وَلَا تَأْوِيلٍ فَكَذَلِكَ -يَعْنِي يَكُونُ كَافِرًا- وَإِنْ كَانَ بِتَأْوِيلٍ كَالْحَوَارِجِ فَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَكْثَرَ الْفُقَهَاءِ لَمْ يَحْكُمُوا بِكُفْرِهِمْ مَعَ اسْتِحْلَالِهِمْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَفَعَلِهِمْ ذَلِكَ

= مُتَقَرِّينَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَقَدْ عُرِفَ مِنْ مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ تَكْفِيرُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَاعْتِقَادُهُمْ التَّقَرُّبَ بِقَتْلِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يُحْكَمْ الْفُقَهَاءُ بِكُفْرِهِمْ؛ لِتَأْوِيلِهِمْ. وَكَذَلِكَ يُجَرَّجُ فِي كُلِّ مُحَرِّمٍ اسْتِحْلَالُ بِتَأْوِيلٍ مِثْلُ هَذَا».

وَفِي فِتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (٣٠ / ١٣) مَجْمُوعِ ابْنِ قَاسِمٍ: «وَبِدْعَةُ الْخَوَارِجِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهَمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ تَكْفِيرَ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ».

وَفِي (ص: ٢١٠) مِنْهُ: «فَإِنَّ الْخَوَارِجَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي أَمَرَ الْقُرْآنُ بِاتِّبَاعِهَا، وَكَفَرُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَ الْقُرْآنُ بِمُؤَالَاتِهِمْ... وَصَارُوا يَتَّبِعُونَ الْمُشَابِهَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِمَعْنَاهُ، وَلَا رُسُوخٍ فِي الْعِلْمِ، وَلَا اتِّبَاعٍ لِلْسُّنَّةِ، وَلَا مُرَاجَعَةٍ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ».

وَقَالَ أَيْضًا (٥١٨ / ٢٨) مِنَ الْمَجْمُوعِ الْمَذْكُورِ: «فَإِنَّ الْأَئِمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى دَمِ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ» لَكِنَّهُ ذَكَرَ فِي (٢١٧ / ٧) «أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكْفَرُهُمْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ، كَمَا ذَكَرَتِ الْأَثَارُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ» وَفِي (٥١٨ / ٢٨) «أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَنْصُوصُ عَنِ الْأَئِمَّةِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ».

وَفِي (٢٨٢ / ٣) قَالَ: «وَالْخَوَارِجُ الْهَارِقُونَ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتَالِهِمْ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَاتَّفَقَ عَلَى قَتَالِهِمْ أَيْمَةُ الدِّينِ

= مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يُكْفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قَتَالِهِمْ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيُّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَتَمِّمْ كُفَّارًا، وَلِهَذَا لَمْ يَسِبْ حَرِيمَهُمْ، وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ. وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَ ضَلَالُهُمْ بِالنَّصِّ وَالِإِجْمَاعِ لَمْ يُكْفَرُوا مَعَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِمْ فَكَيْفَ بِالطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ فِي مَسَائِلَ غَلَطَ فِيهَا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ؟! فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَنْ يُكْفَرَ الْأُخْرَى، وَلَا تَسْتَحِلَّ دِمَها وَمَالُها، وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا بِدْعَةٌ مُحَقَّقَةٌ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ الْمُكْفَرَةُ لَهَا مُبْتَدَعَةٌ أَيْضًا؟! وَقَدْ تَكُونُ بِدْعَةٌ هَؤُلَاءِ أَغْلَظَ. وَالْغَالِبُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا جُهَالٌ بِحَقَائِقِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مُتَأَوِّلًا فِي الْقِتَالِ أَوْ التَّكْفِيرِ لَمْ يُكْفَرْ بِذَلِكَ».

إِلَى أَنْ قَالَ فِي (ص: ٢٨٨): «وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي خِطَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ هَلْ يَثْبُتُ حُكْمُهُ فِي حَقِّ الْعَبِيدِ قَبْلَ الْبَلَاغِ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ... وَالصَّحِيحُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وَقَوْلِهِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، رقم (٧٤١٦)، ومسلم: كتاب اللعان، رقم (١٤٩٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَمَا كَانَ يَظُنُّ الْمُشْرِكُونَ، خُصُوصًا إِنَّ آلِهَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُحْلِصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ^[١]

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْجَاهِلَ مَعْدُورٌ بِمَا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ مِمَّا يَكُونُ كُفْرًا، كَمَا يَكُونُ مَعْدُورًا بِمَا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ مِمَّا يَكُونُ فِسْقًا، وَذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِعْتِبَارِ، وَأَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

[١] حِينَمَا حَدَّثَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا خَوْفُ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَظُنَّ مَا ظَنَّ هَؤُلَاءِ فِي مَعْنَى التَّوْحِيدِ أَنَّهُ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ بَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خَوْفٍ دَائِمًا.

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ١٣٨-١٣٩]﴾. فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ سُؤَالَهُمْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ آلِهَةً كَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ لَهُمْ آلِهَةٌ مِنَ الْجَهْلِ، فَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى خَوْفِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ فِي الصَّلَاحَاتِ وَالْجَهَالَاتِ؛ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَيُّ: لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ وَلَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحَدَّثَ مِنْهُ وَقَعَ فِيهِ عَامَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي التَّوْحِيدِ؛ حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَيُّ: لَا مُخْتَرَعَ وَلَا قَادِرَ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ إِلَّا اللَّهُ، فَفَسَّرُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ بِتَفْسِيرٍ بَاطِلٍ لَمْ يَفْهَمُوهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَلَا غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَعْرِفُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهَا هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ.

وَاعْلَمَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً،
 كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^[١] [الأنعام: ١١٢]

[١] بَنَى الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ حَيْثُ بَيَّنَّ
 أَنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَذَلِكَ
 أَنَّ وُجُودَ الْعَدُوِّ يُمَحِّصُ الْحَقَّ وَيُبَيِّنُهُ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا وُجِدَ الْمَعَارِضُ قَوِيَتْ حُجَّةُ الْآخِرِ،
 وَهَذَا الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ جَعَلَهُ أَيْضًا لِأَتْبَاعِهِمْ، فَكُلُّ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ يَحْصُلُ
 لَهُمْ مِثْلُ مَا يَحْصُلُ لِلْأَنْبِيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ
 الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
 نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ وَعَلَى مَا جَاؤُوا بِهِ بِأَمْرَيْنِ:
 الْأَوَّلُ: التَّشْكِيكُ.

الثَّانِي: الْعُدْوَانُ.

أَمَّا التَّشْكِيكُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُقَابَلَتِهِ: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ
 يُضِلَّهُ أَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَأَمَّا الْعُدْوَانُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُقَابَلَتِهِ: ﴿وَنَصِيرًا﴾ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرُدَّعَهُ أَعْدَاءُ
 الْأَنْبِيَاءِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى يَهْدِي الرُّسُلَ وَأَتْبَاعَهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ
 أَقْوَى الْأَعْدَاءِ، فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَيَاسَ لِكثْرَةِ الْأَعْدَاءِ، وَقُوَّةِ مَنْ يَقَاوِمُ الْحَقَّ، فَإِنَّ الْحَقَّ كَمَا

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^[١] [غافر: ٨٣].

= قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١):

الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَحَنٌّ فَلَا تَعَجَّبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَيَّاسَ، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نُطِيلَ النَّفْسَ وَأَنْ نَنْتَظِرَ، وَسَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، فَلَا مَلْ دَافِعٌ قَوِيٍّ لِلْمُضِيِّ فِي الدَّعْوَةِ وَالسَّعْيِ فِي إِنْجَاحِهَا، كَمَا أَنَّ الْيَاسَ سَبَبٌ لِلْفَشْلِ وَالتَّأَخُّرِ فِي الدَّعْوَةِ.

[١] يَعْنِي أَنَّ أَعْدَاءَ الرُّسُلِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَهُمْ وَيُكَذِّبُونَهُمْ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُمْ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَشُبُهَاتٌ يُسَمُّوْنَهَا «حُجَجًا» يُلَبِّسُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَيُلَبِّسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَهَذَا الْفَرَحُ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّهُ فَرَحٌ بِغَيْرِ مَا يُرِضِي اللَّهَ، فَيَكُونُ مِنَ الْفَرَحِ الْمَذْمُومِ.

وَأَشَارَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعُلُومِ وَالشُّبُهَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِسَلَاحِهِمْ، وَهَذَا مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَلِهَذَا لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»^(٢) وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُمْ، وَيَعْرِفَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ.

(١) نونية ابن القيم (ص: ١٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم (١٤٩٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلٍ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ - فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ لَكَ سِلَاحًا تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدِّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدَ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ^[١] [الأعراف: ١٦-١٧].

[١] إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، أَيَّ أَنْ لِهَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ كُتُبًا وَعُلُومًا وَحُجَجًا يَلْبِسُونَ بِهَا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُمْ، وَالْإِسْتِعْدَادُ لَهُمْ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ مِنَ الْحُجَجِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا تَدْفَعُ بِهِ حُجَجَ هَؤُلَاءِ وَبَاطِلَهُمْ.

الثَّانِي: أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْبَاطِلِ حَتَّى تَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (دَرُءُ تَعَارُضِ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ) قَالَ: «إِنَّهُ مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَأْتِي بِحُجَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَى الْبَاطِلِ إِلَّا كَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ حُجَّةً لَهُ» ^(١).

وَهَذَا الْأَمْرُ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ الْحُجَّةَ الصَّحِيحَةَ إِذَا اخْتَجَّ بِهَا الْمُبْطِلُ عَلَى بَاطِلِهِ فَإِنَّهَا تَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ لَهُ، فَعَلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يُجَادِلَ هَؤُلَاءِ يَتَأَكَّدُ أَنْ يَلَاحِظَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَفْهَمَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِهِ.
وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَفْهَمَ الْحُجَجَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ الَّتِي يَرُدُّ بِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ.

وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ
﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ^[١] [النساء: ٧٦]، وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ
عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ^[٢] [الصافات: ١٧٣].....

[١] يُرِيدُ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنْ يُشْجَعَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَرَفَ
الْحَقَّ بِأَنْ لَا يَخَافَ مِنْ حُجَجِ أَهْلِ الْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهَا حُجَجٌ وَاهِيَةٌ، وَهِيَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ،
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ ^(١):

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالزُّجَاجِ تَحَالِهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

[٢] قَالَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: «وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ
عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ» وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

الْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوحِّدِينَ؛ يَعْنِي مِنَ الَّذِينَ يُقَرُّونَ بِالتَّوْحِيدِ بِأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ «الْأَلُوْهِيَّةِ،
وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ يُوَحِّدُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ تَوْحِيدًا نَاقِصًا؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ لَا يُوَحِّدُونَهُ إِلَّا بِتَوْحِيدِ
الرُّبُوبِيَّةِ فَقَطْ، وَهَذَا تَوْحِيدٌ نَاقِصٌ، لَيْسَ هُوَ تَوْحِيدًا فِي الْحَقِيقَةِ، بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَاتَلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي يُوَحِّدُونَ اللَّهَ هَذَا التَّوْحِيدَ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا التَّوْحِيدُ، وَلَمْ
تُعْصَمْ بِهِ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ.

وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوحِّدِينَ يُقَرُّ بِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَلُوْهِيَّةِ،
وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَيَكُونُ خَيْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ.

(١) ذكره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣١٤).

فَجُنِدُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَتَتْهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ^[١] وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ^[٢].

[١] أَشَارَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّ جُنْدَ اللَّهِ - وَهُمْ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - يُجَاهِدُونَ النَّاسَ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْحُجَّةُ وَالْبَيَانُ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يُظْهِرُونَ عَدَاوَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَهَؤُلَاءِ يُجَاهِدُونَ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ.

الثَّانِي: مَنْ يُجَاهِدُ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَهُمْ الْمُظْهِرُونَ لِلْعَدَاوَةِ، وَهُمْ الْكُفَّارُ الْخُلَصُّ الْمُعْلِنُونَ بِكُفْرِهِمْ، وَفِي هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيْتُ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

وَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ يَكُونُ لِلْكُفَّارِ الْخُلَصِّ الْمُعْلِنِينَ لِكُفْرِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ يُجَاهِدُونَ بِالسَّيْفِ ثَانِيًا، وَلَا يُجَاهِدُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

وَالْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تُقَابِلَ كُلَّ سِلَاحٍ يُصَوَّبُ نَحْوَ الْإِسْلَامِ بِمَا يُنَاسِبُهُ، فَالَّذِينَ يُحَارِبُونَ الْإِسْلَامَ بِالْأَفْكَارِ وَالْأَقْوَالِ يَجِبُ أَنْ يُبَيَّنَ بَطْلَانُ مَا هُمْ عَلَيْهِ بِالْأَدِلَّةِ النَّظَرِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَالَّذِينَ يُحَارِبُونَ الْإِسْلَامَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يُدَافَعُوا، بَلْ أَنْ يُهَاجَمُوا إِذَا امْتَكَنَ، بِمِثْلِ مَا يُحَارِبُونَ بِهِ الْإِسْلَامَ. وَالَّذِينَ يُحَارِبُونَ الْإِسْلَامَ بِالْأَسْلِحَةِ يَجِبُ أَنْ يُقَاوَمُوا بِمَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الْأَسْلِحَةَ.

[٢] أَيُّ أَنَّ الْخَوْفَ مِنْ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ يَتَسَلَّحُ بِهِ، فَيُخْشَى أَنْ يُجَادِلَهُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً
وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ ^[١] [النحل: ٨٩]

= الْمُسْرِكِينَ فَتَضِيعَ حُجَّتُهُ فِيهِلَكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ،
وَيُفْحِمُ بِهِ الْخَصْمَ؛ لِأَنَّ الْمُجَادِلَ يَخْتَاجُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: إِبْتَاتُ دَلِيلٍ قَوْلِهِ.

الثَّانِي: إِبْطَالُ دَلِيلِ خَصْمِهِ.

وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَمَا عَلَيْهِ خَصْمُهُ مِنَ
الْبَاطِلِ؛ لِيَتِمَّكَانَ مِنْ دَخْضِ حُجَّتِهِ.

[١] مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَبَيَّنًا أَيْ مُبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ يَخْتَاجُهُ
النَّاسُ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ تَبَيَّنَ الْقُرْآنَ لِلْأَشْيَاءِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُبَيِّنَ الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ
وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ
نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٣-٢٤].

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^[١] [الفرقان: ٣٣].....

الثاني: أَنْ يَكُونَ التَّبَاطُلُ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مَوْضِعِ الْبَيَانِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. فَأَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ السُّنَّةُ، فَإِنَّهَا تُبَيِّنُ الْقُرْآنَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وَأَيْضًا [الأنبياء: ٧].

فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ نَرْجِعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى أَهْلِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ بِهِ؛ وَهَذَا يُذَكِّرُ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ النَّصَرَانِي يُرِيدُ الطَّعْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَانَ فِي مَطْعَمٍ، فَقَالَ لَهُ هَذَا النَّصْرَانِي: أَيْنَ بَيَانُ كَيْفَ يُصْنَعُ هَذَا الطَّعَامُ؟ فَدَعَا الرَّجُلُ صَاحِبَ الْمَطْعَمِ وَقَالَ لَهُ: صِفْ لَنَا كَيْفَ تَصْنَعُ هَذَا الطَّعَامَ؟ فَوَصَفَهُ، فَقَالَ: هَكَذَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَتَعَجَّبَ النَّصْرَانِي وَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢]. فَبَيَّنَ لَنَا مِفْتَاحَ الْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ بِأَنْ نَسْأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ بِهَا، أَيُّ: أَهْلَ الْعِلْمِ بِهِ، وَهَذَا مِنْ بَيَانِ الْقُرْآنِ بِلَا شَكٍّ، فَالْإِحَالَةُ عَلَى مَنْ يَحْصُلُ بِهِمُ الْعِلْمُ هِيَ فَتْحٌ لِلْعِلْمِ.

[١] لَا يَأْتِي مُبْطِلٌ بِحُجَّةٍ عَلَى بَاطِلِهِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يُبَيِّنُ هَذِهِ الْحُجَّةَ الْبَاطِلَةَ، بَلْ إِنَّ كُلَّ صَاحِبِ بَاطِلٍ اسْتَدَلَّ لِبَاطِلِهِ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهَذَا الدَّلِيلُ يَكُونُ دَلِيلًا عَلَيْهِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «دَرْءُ تَعَارُضِ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ» أَنَّهُ مَا مِنْ صَاحِبٍ بِدَعَا وَبَاطِلٍ يَحْتَجُّ لِبَاطِلِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ دَلِيلًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ دَلِيلًا لَهُ^(١).

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامِ احْتِجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا^[١].

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ

[١] قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُسْتَدِلًّا عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الْمُوَحِّدَ سَتَكُونُ لَهُ حُجَّةٌ أَبْلَغُ وَأَيُّنُ مِنْ حُجَّةٍ غَيْرِ الْمُوَحِّدِ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أَيُّ: لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ يُجَادِلُونَكَ بِهِ وَيُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنِ تَفْسِيرٍ؛ وَهَذَا نَجْدٌ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا، مَا يُجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَسْئَلَةٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ؛ لِيُبَيِّنَ عَزَّجَلَّ لِلنَّاسِ الْحَقَّ، وَسَيَكُونُ الْحَقُّ بَيْنَنَا لِكُلِّ أَحَدٍ.

وَلَكِنْ هَاهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّفَطُّنُ لَهُ، وَهُوَ: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْخُلَ فِي مُجَادَلَةٍ أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ حُجَّتَهُ، وَيَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِدَحْرِهَا وَالْجَوَابِ عَنْهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي غَيْرِ مَعْرِفَةٍ صَارَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ مَعَ الْعَدُوِّ إِلَّا بِسِلَاحٍ وَشَجَاعَةٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ هَذَا كُلَّ حُجَّةٍ أَتَتْ بِهَا الْمُشْرِكُونَ لِيَحْتَجُّوا بِهَا عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَيُكْشِفُ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ؛ لِأَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَتْ حُجَجًا، وَلَكِنَّهَا تَشْبِيهُ وَتَلْبِيسٌ.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿١﴾ [آل عمران: ٧].....

[١] بَيَّنَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ سَيُجِيبُ عَلَى هَذِهِ الشُّبُهَاتِ بِجَوَابَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مُجْمَلٌ عَامٌّ صَالِحٌ لِكُلِّ شُبْهَةٍ.

الثَّانِي: مُفَصَّلٌ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي بَابِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ أَنْ يَأْتُوا بِجَوَابٍ مُجْمَلٍ حَتَّى يَشْمَلَ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُورِدَهُ الْمُبَسِّتُونَ الْمُشَبِّهُونَ، وَيَأْتِي بِجَوَابٍ مُفَصَّلٍ لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ بَعَيْنِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فَضِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

فَذَكَرَ فِي الْجَوَابِ الْمُجْمَلِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ هُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧].

وَلِهَذَا نَحْدُ أَهْلَ الزَّيْغِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَأْتُونَ بِالآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ لِيَلْبِسُوا بِهَا عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَيَقُولُونَ مِثْلًا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَذَا؟ فَكَيْفَ يَكُونُ، وَهَذَا مِثْلُ مَا حَصَلَ لِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مُنَاطَرَتِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا السُّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ^(٢)، وَرُبَّمَا يَكُونُ غَيْرُهُ ذَكَرَهَا وَهِيَ مُفِيدَةٌ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، رقم (٤٥٤٧)، ومسلم: كتاب

العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (٢٦٦٥)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (٢/٦٨).

والقصة أخرجه الطبراني (١٠/٣٠٤-٣١٢ رقم ١٠٥٩٧).

وَقَدْ صَحَّ^[١] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَلَا إِنَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبُهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابَهَ.

[١] قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ»^(١) اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْمُتَشَابَهَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ وَصَارَ يُلَبِّسُ بِهِ عَلَى بَاطِلِهِ - فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ وَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] الْآيَةِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَذَرِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَحْذَرُوهُمْ» مِنْ أَنْ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ هَذَا الْمُتَشَابَهِ، وَأَحْذَرُوا طَرِيقَهُمْ أَيْضًا، فَالتَّحْذِيرُ هُنَا يَشْمَلُ التَّحْذِيرَ عَنْ طَرِيقِهِمْ وَالتَّحْذِيرَ مِنْهُمْ أَيْضًا.

ثُمَّ صَرَّبَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِثْلًا بِأَنْ يَقُولَ لَكَ الْمُشْرِكُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿أَلَا إِنَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أَوَلَيْسَ لِلْأَوْلِيَاءِ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أَوَلَيْسَتْ الشَّفَاعَةُ ثَابِتَةً بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؟ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، رقم (٤٥٤٧)، ومسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (٢٦٦٥)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيْنَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ^[١].

وَمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ^[٢].

= فُقِلَ: نَعَمْ، كُلُّ هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تُشْرِكُ بِهِؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ بِهِؤُلَاءِ الرُّسُلِ، أَوْ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَدَعَاكَ أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَعْوَى بَاطِلَةٌ لَا يَخْتَجُّ بِهَا إِلَّا مُبْطِلٌ، وَمَا أَنْتَ إِلَّا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ وَلَوْ أَنَّكَ رَدَدْتَ هَذَا الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ لَعَلِمْتَ أَنَّ هَذَا لَا دَلِيلَ لَكَ فِيهِ.

[١] ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَيْفَ نَزَدَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِيْمَانًا لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَغَيْرَهُمْ، وَيَقُولُونَ: «هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» وَمَعَ هَذَا كَانُوا مُشْرِكِينَ، اسْتَبَاحَ النَّبِيُّ ﷺ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهَذَا نَصٌّ مُحْكَمٌ لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ، دَالٌّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَفِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَإِنْ وَحَدَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

[٢] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ «مَا ذَكَرْتَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ رَسُولِهِ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ» يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: «لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ» أَيُّ: لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ الَّذِي أَنْتَ تَدَّعِيهِ، وَإِنِّي

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ^[١] وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ^[٢] إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ،...

= أَنْكِرُهُ وَلَا أُقِرُّ بِهِ؛ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وَكَلَامَ الرَّسُولِ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...»^(١) إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَهَذَا كُلُّهُ يُؤَيِّدُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

[١] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ» يَعْنِي قَوْلَ الْإِنْسَانِ لِحُصْمِهِ: «إِنْ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَنَاقَضُ، وَإِنْ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ رَدُّ الْمُتَشَابِهِ إِلَى الْمُحْكَمِ» فَهَذَا أَجَابَ بِجَوَابٍ سَدِيدٍ، أَيْ سَادَ لِمَحَلِّهِ، لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُنَاقِضَهُ، أَوْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَا يَنْقُضُهُ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُحْكَمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الدَّلِيلَيْنِ: السَّمْعِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ جَوَابٌ لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ مُبْطِلٍ أَنْ يَنْقُضَهُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ...» إلخ؛ يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْجَوَابَ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُ فِتْنَةَ الشُّبُهَاتِ وَفِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أَي: مَا يُوَفِّقُ لِلدَّفْعِ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
[فصلت: ٣٥].

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمَفْصَلُ^[١] فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَهُمْ اغْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ
يُصَدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا: قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ
لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ
لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ.

فَجَاوَبُهُ بِمَا تَقَدَّمَ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقَرَّنُونَ بِمَا ذَكَرْتَ،
وَمُقَرَّنُونَ بِأَنَّهُمْ لَا تُدَبَّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ^[٢].....

[١] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا الْجَوَابُ الْمَفْصَلُ...» إلخ؛ لِأَنَّ الْجَوَابَ الْأَوَّلَ كَانَ
مُجْمَلًا، يَرُدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى كُلِّ شُبْهَةٍ، ثُمَّ هُنَاكَ جَوَابٌ مُفَصَّلٌ، أَيْ مُمَيَّزٌ بَعْضُهُ عَنْ
بَعْضٍ، بِحَيْثُ تُدْفَعُ بِهِ شُبْهَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ بَعَيْنَهَا.

فَإِذَا قَالَ لَكَ الْمُشْرِكُ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ، بَلْ أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ،
وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا، فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَعَبْدِ الْقَادِرِ يَعْنِي ابْنَ مُوسَى
الْحِيلَانِيِّ - عَلَى خِلَافٍ فِي اسْمِ أَبِيهِ - كَانَ مِنْ كِبَارِ الزُّهَادِ وَالْمُتَصَوِّفِينَ، وَلِدَ سَنَةَ (٤٧١)
بِحِيلَانَ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ (٥٦١) فِي بَغْدَادَ، وَكَانَ حَنْبَلِيَّ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ -
فَهَذِهِ شُبْهَةٌ يَلْبَسُ بِهَا، وَلَكِنَّهَا شُبْهَةٌ دَاحِضَةٌ لَا تُفِيدُهُ شَيْئًا.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ...» إلخ؛ هَذَا بَيِّنَةٌ كَلَامِ الْمُشْبِّهِ، فَأَجِبْهُ بِأَنَّ مَا ذَكَرْتَ

وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ^[١].

فَإِنْ قَالَ: هُوَ لَا^[٢] الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِيْمَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ
مِثْلَ الْأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟ فَجَاوِبُهُ بِمَا تَقَدَّمَ.

= هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَنَسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،
وَلَمْ يُغْنِهِمْ هَذَا التَّوْحِيدُ شَيْئًا.

[١] قَوْلُهُ: «وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ» يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَقْرَأَ
عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَبَدًا فِيهِ وَأَعَادَ وَكَرَّرَ مِنْ
أَجْلِ تَشْيِيتِهِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْ إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي عِبَادَتِهِ،
وَأَنْ لَا يُعْبَدَ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَإِذَا افْتَنَعَ بِذَلِكَ فَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَفْتَنَعْ فَهُوَ مُكَابِرٌ
مُعَانِدٌ، يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَفْتِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

[٢] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ: هُوَ لَا» يَعْنِي: أَهْلُ الشِّرْكِ: هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ
الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيْسُوا بِأَصْنَامٍ.

فَإِنَّهُ إِذَا^[١] أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرَّبُوبِيَّةِ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَهُ - فَادَّكَّرَ لَهُمْ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيَّ رِيَّهُمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وَيَدْعُونَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظَرِ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَوَّيُّوكَوْتُ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦].

= فَجَاوَبَهُ بِمَا تَقَدَّمَ، أَيُّ: بِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَ مَعْبُودَهُ وَثْنًا، فَأَيُّ فَرَقٍ بَيْنَ مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ وَعَبَدَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ؟ إِذْ إِنَّ الْجَمِيعَ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ عَابِدِيهِ.

[١] يَقُولُ: «فَإِنَّهُ» أَيُّ هَذَا الْقَائِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقَرُّوا بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ، وَلَكِنَّهُمْ عَبَدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَتَشْفَعَ لَهُمْ، فَقَدْ أَقَرَّ بِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ كَمَقْصُودِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا الْإِعْتِقَادُ كَمَا سَبَقَ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَادَّكَّرَ لَهُ...» إِنْخ؛ جَوَابُ قَوْلِهِ: «فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ...» إِنْخ؛ يُعْنِي: فَادَّكَّرَ لَهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَصْنَامَ لِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ كَمَا أَنَّكَ كَذَلِكَ مُوَافِقٌ لَهُمْ فِي الْمَقْصُودِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَوْلِيَاءَ كَمَا أَنَّكَ كَذَلِكَ مُوَافِقٌ لَهُمْ فِي الْمَقْصُودِ وَالْمَعْبُودِ.

وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ^[١] [سبأ: ٤٠-٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي

= وَدَلِيلَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ الْأَوْلِيَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وَكَذَلِكَ يَعْبُدُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَعِبَادَةِ النَّصَارَى الْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ، وَكَذَلِكَ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] الْآيَةَ.

فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ الْجَوَابُ عَنْ تَلْبِيسِهِ بِكَوْنِ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ يَعْبُدُ الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا صِحَّةَ لِتَلْبِيسِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَعْبُدُ الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: لَوْ قَدَرْنَا أَنَّ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا الْأَصْنَامَ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ عَبْدَ مَنْ لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا.

[١] قَوْلُهُ: «وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾» الْآيَتَيْنِ، هَذِهِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ سَابِقًا: «فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَصْنَامَ...» إلخ؛ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُمْ مِنْ خِيَارِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَيَبْطُلُ تَلْبِيسُهُ بِأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ أَنَّهُ هُوَ يَدْعُو الصَّالِحِينَ وَالْأَوْلِيَاءَ، وَالْكُفَّارُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مِنَ الْأَحْجَارِ وَنَحْوِهَا.

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١﴾ [المائدة: ١١٦].

فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَرَ مَنْ قَصَدَ الْأَصْنَامَ، وَكَفَرَ أَيُّضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ [٢].
فَإِنْ قَالَ [٣]: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ.....

[١] قَوْلُهُ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿الآيَةُ، أَي: وَادْكُرْ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ﴿لِتُلْقِمَهُ حَجَرًا فِي أَنْ الْكُفَّارَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْلِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلِيكَ الْكُفَّارِ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَقُلْ لَهُ...» إِيخ؛ أَي: قُلْ ذَلِكَ مُبَيَّنًّا لَهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَفَرَ مَنْ عَبَدَ الصَّالِحِينَ، وَمَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشَّرِكِ وَلَمْ يَنْفَعُهُمْ أَنْ كَانَ الْمَعْبُودُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ.

[٣] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ» يَعْنِي هَذَا الْمُشْرِكُ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، أَي: يُرِيدُونَ أَنْ يَنْفَعُوهُمْ أَوْ يَضُرُّوهُمْ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَا لَا أَعْتَقِدُ فِيهِمْ، وَلَكِنْ أَتَقَرَّبُ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِيَكُونُوا شُفَعَاءَ.

فَقُلْ لَهُ: وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، هُمْ لَا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامَ لِإِعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا لِتَقَرُّبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وَقَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فَتَكُونُ حَالُهُ كَحَالِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ.

النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصَدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَأَعْلَمُ: أَنَّ هَذِهِ الشُّبُهَةَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّحَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ وَفَهَّمَتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا^[١].

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدَعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

[١] قَوْلُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: وَهَذِهِ الشُّبُهَةُ الثَّلَاثُ:

الشُّبُهَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُمْ: «إِنَّا لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ إِنَّمَا نَعْبُدُ الْأَوْلِيَاءَ».

الشُّبُهَةُ الثَّانِيَّةُ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّمَا مَا قَصَدْنَا هُمْ وَإِنَّمَا قَصَدْنَا اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي الْعِبَادَةِ».

الشُّبُهَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّمَا مَا عَبَدْنَا هُمْ لِيَنْفَعُونَا أَوْ يَضُرُّونَا، فَإِنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَرَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَكِنْ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، فَنَحْنُ قَصَدْنَا شَفَاعَتَهُمْ بِذَلِكَ، يَعْني: فَنَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى».

فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ انْكِشَافُ هَذِهِ الشُّبُهَةِ فَانْكِشَافُ مَا بَعْدَهَا مِنَ الشُّبُهَةِ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ مِنْ أَقْوَى الشُّبُهَةِ الَّتِي يُلَبِّسُونَ بِهَا.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ^[١] وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؟
فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ
وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ
بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
[الأعراف: ٥٥] فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً لِلَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ
يَقُولَ نَعَمْ، وَالِدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ^[٢].

فَقُلْ لَهُ^[٢]: إِذَا أَقَرَّرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا؛ خَوْفًا وَطَمَعًا،....

[١] إِذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُشَبَّهُ: أَنَا لَسْتُ أَعْبُدُهُمْ كَمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَالْإِلْتِجَاءُ
إِلَيْهِمْ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ فَهَذِهِ شُبْهَةٌ.

وَجَوَابُهَا أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ. فَإِذَا قَالَ:
نَعَمْ، فَاسْأَلْهُ: مَا مَعْنَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ؟ فَإِمَّا أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَعْرِفَ،
فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ فَبَيِّنْ لَهُ ذَلِكَ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ دُعَاءَهُ لِلصَّالِحِينَ وَتَعَلُّقَهُ بِهِمْ عِبَادَةٌ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَبَيِّنْهَا لَهُ» أَيُّ: بَيِّنْ لَهُ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ادْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَالِدُّعَاءُ عِبَادَةٌ، وَإِذَا كَانَ عِبَادَةً فَإِنَّ
دُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ يَكُونُ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَى هَذَا فَالَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْعَى وَيُعْبَدَ
وَيُرْجَى هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

[٣] قَوْلُهُ: «فَقُلْ لَهُ...» إلخ؛ يَعْنِي: إِذَا بَيَّنْتَ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ وَأَقْرَبِهِ فَقُلْ لَهُ: أَلَسْتَ
تَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى فِي حَاجَةٍ، ثُمَّ تَدْعُو فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَفْسَهَا نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ فَهَلْ أَشْرَكَتَ فِي
عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا زِمَ لَا مُحَالَهَ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلدُّعَاءِ.

ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ هَلْ أَشْرَكَتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرُهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^[١] [الكوثر: ٢] وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا هَلْ أَشْرَكَتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أَيْضًا^[٢]: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالِالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،.....

[١] ثُمَّ انْتَقَلَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ النَّحْرُ، قَالَ: فَقُلْ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَنَحَرْتَ لَهُ أَهَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، فَقَدْ اعْتَرَفَ أَنَّ النَّحْرَ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادَةٌ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَرْفُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكًا. قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُقَرَّرًا ذَلِكَ: «فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ...» إِنْخ؛ وَهَذَا الْإِزَامُ وَاضِحٌ لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ...» إِنْخ؛ انْتَقَلَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- إِلَى الْإِزَامِ آخَرَ سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ وَهُوَ أَنْ يُسْأَلَ هَذَا الْمُسْئِبَةُ: هَلْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. فَيُسْأَلُ مَرَّةً أُخْرَى: هَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالِالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّهُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، لَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَّجَوُّوا إِلَيْهِمْ لِلجَّاهِ وَالشَّفَاعَةِ كَمَا سَبَقَ، وَهَذَا مَا وَقَعَ فِيهِ الْمُسْئِبَةُ تَمَامًا.

وَالْأَفْهَمُ مُقَرَّرُونَ أَتَنَّهُمْ عَيْدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَّجَوُّوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا.

فَإِنْ قَالَ: أَتُنَكِّرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟ فَقُلْ: لَا أُنَكِّرُهَا وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ وَأَزْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنْ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾^[١] [الزمر: ٤٤] وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ^[٢] كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ، كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].....

[١] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ» يَعْنِي: إِذَا قَالَ لَكَ الْمُشْرِكُ الْمُسَبِّهُ: هَلْ تُنَكِّرُ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُلْزِمَكَ بِجَوَازِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَسَى أَنْ يَشْفَعَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا دَعَوْتَهُ، فَقُلْ لَهُ: لَا أُنَكِّرُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا، وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ، وَمَرْجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يَأْذَنُ فِيهَا إِذَا شَاءَ، وَلَنْ شَاءَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ...» إِيخ؛ بَيَّنَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِهَا؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ^[١] وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذُنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ - تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ، فَاطْلُبْهَا مِنْهُ. فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْني شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ^[٢]: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ؟

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] وَلِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْضَى الْكُفْرَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، فَإِذَا كَانَ لَا يَرْضَى الْكُفْرَ فَإِنَّهُ لَا يَأْذُنُ بِالشَّفَاعَةِ لِلْكَافِرِ.

[١] قَوْلُهُ: «فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ...» إِنْخ؛ أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَلَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا تُطْلَبَ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِي نَبِيِّكَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْني شَفَاعَتَهُ، وَأَمْثَالَ ذَلِكَ.

[٢] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ» أَيِ الْمُشْرِكِ الَّذِي يَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الشَّفَاعَةَ فَأَنَا أَطْلُبُهَا مِنْهُ.

فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ بِهِ فِي دُعَائِهِ، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَهَناكَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ فَأَطِيعُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ^[١]

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنَّهُ ﷺ لَا يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ مُشْرِكًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِيهِ، فَلَا يَأْذَنُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى الشَّفَاعَةَ غَيْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَالْمَلَائِكَةُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَفْرَاطُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ يَشْفَعُونَ، فَقُلْ لَهُ: هَلْ تَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ؟ فَإِنْ قَالَ: «لَا» فَقَدْ خُصِمَ، وَبَطَلَ قَوْلُهُ. وَإِنْ قَالَ: «نَعَمْ» رَجَعَ إِلَى الْقَوْلِ بِعِبَادَةِ الصَّالِحِينَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُشْرِكَ الْمُشَبَّهَ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ، وَلَوْ كَانَ يُرِيدُ ذَلِكَ لَقَالَ: «اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِي نَبِيِّكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» وَلَكِنَّهُ يَدْعُو الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَاشَرَةً، وَدُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ شِرْكُ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، فَكَيْفَ يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَدْعُو مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ أَحَدٌ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

[١] وَقَالَ الْمُؤَلِّفُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ» سَنَدُهُ حَدِيثُ

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُطَوَّلًا، وَفِيهِ:

وَالْأَفْرَاطُ يَشْفَعُونَ^[١].

أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَإِنْ قُلْتَ: «لَا» بَطَلَ قَوْلُكَ: «أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ».

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا حَاشَا وَكَلاَّ، وَلَكِنْ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تَقَرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزَّنا،

= فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ»^(١) الْحَدِيثَ.

[١] وَقَوْلُهُ: «وَالْأَفْرَاطُ يَشْفَعُونَ» الْأَفْرَاطُ هُمُ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ، وَسَنَدُهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَمُوتُ مُسْلِمٌ ثَلَاثَةَ مَرَّاتٍ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلْجِ النَّارَ إِلَّا نَحَلَهُ الْقَسَمَ»^(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. وَلَهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ «لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ»^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، رَقْمُ (٧٤٣٩)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رَقْمُ (١٨٣)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ، رَقْمُ (١٢٥١)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُ، رَقْمُ (٢٦٣٢/١٥٠)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ، رَقْمُ (١٢٥٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُ، رَقْمُ (٢٦٣٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَتَقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي^[١].

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبْرِئُ نَفْسَكَ^[٢] مِنَ الشَّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟ أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!

[١] إِذَا قَالَ هَذَا الْمُشْرِكُ: «أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِلَّا لَتَجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشَرِّكَ».

فَجَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشَّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَمَا هَذَا الشَّرْكَ؟! فَإِنَّهُ سَوْفَ لَا يَدْرِي، وَلَا يُجِيبُ بِالصَّوَابِ، مَا دَامَ يَعْتَقِدُ أَنَّ طَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِشَرِّكَ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الشَّرْكَ الَّذِي عَظَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَالَ فِيهِ: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

[٢] قَوْلُهُ: «فَقُلْ لَهُ كَيْفَ تُبْرِئُ نَفْسَكَ...» إِنْخ؛ يَعْنِي: إِذَا بَرَأَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرْكَ بَلَّغُوهُ إِلَى الصَّالِحِينَ، فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ تُبْرِئُ نَفْسَكَ مِنَ الشَّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ، وَهَلِ الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ تَصَوُّرِهِ؟! فَحُكْمُكَ بَرَاءَةَ نَفْسِكَ مِنَ الشَّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُهُ حُكْمٌ بِلَا عِلْمٍ، فَيَكُونُ مَرْدُودًا.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: لِمَاذَا لَا تَسْأَلُ عَنِ الشَّرْكِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ قَتْلِ النَّفْسِ وَالزِّنَا، وَأَوْجَبَ لِفَاعِلِهِ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ؟! حَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ أَتَنْظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَخْشَابَ وَالْأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاها؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ^[١].

وَإِنْ قَالَ^[٢]: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بَنِيَّةً عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَّا بَرَكَّتِهِ أَوْ يُعْطِينَا بَرَكَّتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرُّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، فَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: «الشِّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ» هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟.....

[١] يَعْنِي: إِذَا قَالَ لَكَ الْمُشْرِكُ الْمَشَبَّةُ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فَأَجِبْهُ بِجَوَابَيْنِ:

الْأَوَّلُ: قُلْ لَهُ: مَا هِيَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ؟ أَتَنْظُنُّ أَنَّ مَنْ عَبَدَهَا يَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاها؟! فَإِنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَإِنْ قَالَ...» الْخ؛ هَذَا مُقَابِلُ قَوْلِنَا: «إِنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ» يَعْنِي: إِنْ قَالَ: عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ أَنْ يَقْصِدَ خَشَبَةً أَوْ حَجَرًا أَوْ بَنِيَّةً عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، قُلْنَا: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكَ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَعَلَيْهِ فَتَكُونُ مُشْرِكًا بِإِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرٍ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى
أَوِ الصَّالِحِينَ. فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ
فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ^[١].

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ^[٢]: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ؟ فَسِّرْهُ لِي؟

فَإِنْ قَالَ^[٣]: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَهَذَا
هُوَ الْمَطْلُوبُ» هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الثَّانِي، أَنْ يُقَالَ: هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا،
وَأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَدُعَاءَ الصَّالِحِينَ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟! فَهَذَا يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ،
فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ لَكَ بِأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ أَحَدٍ مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي
الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ» يَعْنِي: «لُبُّهَا» أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ. فَاسْأَلْهُ:
مَا مَعْنَى الشِّرْكِ؟ فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ. فَاسْأَلْهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ ثُمَّ
جَادِلْهُ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

[٣] قَوْلُهُ: «فَإِنْ قَالَ...» إلخ؛ يَعْنِي: إِذَا ادَّعَى هَذَا الْمُشْرِكُ أَنَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ
وَخَدَهُ، فَاسْأَلْهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهُ؟ وَحِينَئِذٍ لَا يَخْلُو مِنْ ثَلَاثِ حَالَاتٍ:

الْأُولَى: أَنْ يُفَسِّرَهَا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، فَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ وَالْمَقْبُولُ، وَبِهِ يَتَبَيَّنُ
أَنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ عِبَادَةَ اللَّهِ وَخَدَهُ؛ حَيْثُ أَشْرَكَ بِهِ.

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ فَسَّرَهَا لِي^[١].

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ؟ فَسَّرَهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَّهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟!

وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنَّتْ لَهُ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

= الثَّانِيَةُ: أَنْ لَا يَعْرِفَ مَعْنَاهَا، فَيَقَالَ: كَيْفَ تَدَّعِي شَيْئًا وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟ أَمْ كَيْفَ تَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِكَ وَالْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ فَرْعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ؟!

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُفَسِّرَ عِبَادَةَ اللَّهِ بِغَيْرِ مَعْنَاهَا، وَحِينَئِذٍ يُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ بَيَانِ الْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ لِلشَّرِكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ بِعَيْنِهِ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ.

[١] يَعْنِي: وَبَيِّنُ لَهُ أَيْضًا أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَهَا عَلَيْنَا، وَيَصْرُخُونَ بِهَا عَلَيْنَا، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَسْلَافُهُمْ حِينَ قَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ⑤ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبَرُوا عَلَى إِلَهَيْهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا بِهِدَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿[ص: ٥-٧].

فَإِذَا عَرَفْتَ ^[١] أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «كَبِيرَ الْإِعْتِقَادِ» هُوَ الشِّرْكَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ -فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكَ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ، وَلَا يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي الرِّخَاءِ، وَأَمَّا الشُّدَّةُ فَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ الدُّعَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا فَلَاحَ بَصَرُهُمْ إِلَى الْبَرِّ اعْرَضُوا وَكَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠).....

[١] قَوْلُهُ: «إِذَا عَرَفْتَ» يَعْنِي: عَلِمْتَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ أَوْلَيْكَ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِهِ هُوَ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ -عَرَفْتَ أَنَّ شِرْكَ هَؤُلَاءِ أَعْظَمُ مِنْ شِرْكَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فِي الشُّدَّةِ وَالرِّخَاءِ، وَأَمَّا أَوْلَيْكَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّمَا يُشْرِكُونَ فِي الرِّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي حَالِ الشُّدَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ [الآيَةُ، فَكَانُوا إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، لَا يَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَلَا يَسْأَلُونَ سِوَاهُ، ثُمَّ إِذَا أَنْجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ، أَوْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ، فَهَذَا هُوَ وَجْهُ ^(١).

(١) انظر الوجه الثاني (ص: ٨٣).

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ فَلَإِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [١٢] [الزمر: ٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [١٣] [لقمان: ٢٢].

فَمَنْ فَهَمْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ سَادَتَهُمْ [١٤].....

[١] وَهَذِهِ أَيْضًا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُشْرِكُونَ فِي حَالِ الرَّخَاءِ، وَأَتَمَّهُمْ إِذَا آتَاهُمْ عَذَابٌ أَوْ أَتَتْهُمْ السَّاعَةُ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ فَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَنْسَوْنَ مَا يُشْرِكُونَ، وَلَا يَدْعُونَ سِوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٢] وَهَذِهِ أَيْضًا كَالْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ... فَيُشْرِكُ فِي حَالِ الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُ فِي حَالِ الشَّدَّةِ.

[٣] هَذِهِ أَيْضًا كَالْآيَاتِ السَّابِقَةِ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فِي حَالِ الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي حَالِ الشَّدَّةِ فَيَلْجَأُونَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

[٤] يُبَيِّنُ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَانِهِ أَشَدَّ شُرْكَاءَ مَنْ مُشْرِكِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِهِ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الشَّدَّةِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي حَالِ الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي حَالِ الشَّدَّةِ

تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكَ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكَ الْأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهَمَّا رَاسِخًا؟! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ^[١].

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا، أَوْ أَحْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ كَيْسَتْ عَاصِيَةً، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُوهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمْ الْفُجُورَ مِنَ الزَّنا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ^[٢].

= فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[١] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ...» إِنْخ؛ هَذَا جَوَابُ قَوْلِهِ: «فَمَنْ فَهَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ...» إِنْخ؛ أَيِ تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ مُشْرِكِي زَمَانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْمُشْرِكِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ شِرْكَ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ ذَلِكَ، أَكْثَرُ النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ يُلْبَسُ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ فَيُظَنُّونَ الْبَاطِلَ حَقًّا كَمَا يَظُنُّونَ الْحَقَّ بَاطِلًا.

[٢] قَوْلُهُ: «الْأَمْرُ الثَّانِي» أَيِ فِي بَيَانِ أَنَّ شِرْكَ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكَ أَهْلِ زَمَانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ يَدْعُونَ أَنْاسًا مُقَرَّبِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا أَوْ أَشْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ ذَلِيلَةً لَهُ، أَمَّا هَؤُلَاءِ -أَعْنِي الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَانِهِ- فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ مَنْ يَحْكُونَ عَنْهُمْ الْفُجُورَ وَالزَّنا وَالسَّرِقَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَاصِيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوْ الْجَمَادِ الَّذِي لَا يَعْصِي اللَّهَ تَعَالَى أَهْوَنُ مَنْ يَعْتَقِدُ فِي مَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ، وَيَشْهَدُ بِهِ. وَهَذَا ظَاهِرٌ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ أَوْ الَّذِي لَا يَعْيِي مِثْلَ الْحَشَبِ وَالْحَجَرِ أَهْوَنُ مِمَّنْ
يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُ شُرَكَاءَ مِنْ
هَؤُلَاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ لَهُوْلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبْهِهِمْ،
فَأُصْنِعْ سَمْعَكَ لَجَوَابِهَا، وَهِيَ:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا،
وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ
بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي وَنُصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أَوْلَئِكَ؟^[١]

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ
الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ،

[١] فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ يُبَيِّنُ رَحِمَهُ اللَّهُ شُبْهَةً مِنْ أَعْظَمِ شُبْهِهِمْ، وَجِبِبُ عَنْهَا، فَيَقُولُ:
إِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصَحُّ عُقُولًا وَأَخَفُ شُرَكَاءَ مِنْ
هَؤُلَاءِ - فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ يُورِدُونَ شُبْهَةً؛ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ
لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا الْحِسَابِ،
وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ، وَنَحْنُ - يَعْنِي مُشْرِكِي زَمَانِهِ - نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَنُصُومُ
رَمَضَانَ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَهُمْ؟! وَهَذِهِ شُبْهَةٌ عَظِيمَةٌ.

أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ،
أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الْحَجَّ، وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أَنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ أَنْزَلَ اللَّهُ
فِي حَقِّهِمْ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^[١] [آل عمران: ٩٧].

[١] يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا هَذَا»، يَعْنِي أَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ... إلخ؛، يَعْنِي: فَكَيْفَ يَكُونُونَ كُفَرًا؟
وَجَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ:

إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ، فَهُوَ
كَمَنْ كَذَّبَ بِالْجَمِيعِ وَكَفَرَ بِهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ كَمَنْ كَفَرَ بِجَمِيعِ
الْأَنْبِيَاءِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا
بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ
ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَنِي
إِسْرَائِيلَ: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثُمَّ ضَرَبَ الْمُؤَلِّفُ لِذَلِكَ أَمَثَلَةً:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: الصَّلَاةُ، فَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنْكَرَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، فَهُوَ كَافِرٌ.
قَوْلُهُ: «أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ...» إلخ؛ هَذَا هُوَ الْمِثَالُ الثَّانِي، وَهُوَ مَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ
وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الزَّكَاةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا.

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ^[١] وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^[٢] [النساء: ١٥٠-١٥١].

المِثَالُ الثَّالِثُ: مَنْ أَقَرَّ بِوُجُوبِ مَا سَبَقَ وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّوْمِ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا.

المِثَالُ الرَّابِعُ: مَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الْحَجِّ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ﴾ يَعْنِي مَنْ كَفَرَ بِكَوْنِ الْحَجِّ وَاجِبًا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قَوْلُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمَّا لَمْ يَنْقُدْ...» إلخ؛ ظَاهِرُهُ أَنَّ لِلْآيَةِ سَبَبَ نَزُولٍ هُوَ هَذَا وَلَمْ أَعْلَمْ لِمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ دَلِيلًا.

[١] قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ» أَيُّ: بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوُجُوبِ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّيَامِ، وَالْحَجِّ، لَكِنَّهُ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ - فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] وَقَدْ حَكَى الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ.

[٢] قَوْلُهُ: كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ سَاقَهَا الْمُؤَلِّفُ مُسْتَدِلًّا بِهَا عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِبَعْضِ الْحَقِّ دُونَ بَعْضٍ كُفْرٌ بِالْجَمِيعِ كَمَا قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ الْكَافِرُ حَقًّا زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْإِحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا^[١].

وَيُقَالُ أَيْضًا^[٢]: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ أَنَّهُ كَافِرٌ حَلَالَ الدَّمِ

[١] لَا أَعْلَمُ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ شَيْئًا فَلْيُبْحَثْ عَنْهُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ...» إلخ؛ هَذَا جَوَابٌ ثَانٍ فَإِنَّ مَضْمُونَهُ أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ وَأَقْرَزْتَ بِأَنَّ مَنْ جَحَدَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَالْبَعْثَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَوْ أَقَرَّ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سِوَى ذَلِكَ، فَكَيْفَ تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَنْ جَحَدَ التَّوْحِيدَ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى كَافِرًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، أَنْ تَجْعَلَ مَنْ جَحَدَ التَّوْحِيدَ مُسْلِمًا، وَمَنْ جَحَدَ وَجُوبَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كَافِرًا، مَعَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ أَعَمُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، فَجَمِيعُ الرُّسُلِ قَدْ أُرْسِلَتْ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وَهُوَ أَصْلُ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَكْفُرُ مَنْ أَنْكَرَ وَجُوبَهَا؛ إِذْ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الزمر: ٦٥-٦٦] فَإِذَا كَانَ مَنْ أَنْكَرَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ الزَّكَاةِ، أَوْ الصَّوْمِ، أَوْ الْحَجِّ، أَوْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَافِرًا، فَمُنْكَرُ التَّوْحِيدِ أَشَدُّ كُفْرًا وَأَبْيَنُ وَأَظْهَرُ.

وَالْمَالِ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْبَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وَجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلَّهُ، لَا تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كَفَرَ، وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ؟ وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لَا يَكْفُرُ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْلَ!

وَيُقَالُ أَيْضًا: ^(١) هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

[١] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...» إلخ؛ هَذَا جَوَابُ ثَالِثٍ، وَمَضْمُونُهُ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَاتَلُوا مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابَهُ ^(١) وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَيُؤَذِّنُونَ، وَيُصَلُّونَ وَهُمْ إِنَّمَا رَفَعُوا رَجُلًا إِلَى مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ مَخْلُوقًا إِلَى مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَفَلَا يَكُونُ أَحَقَّ بِالْكَفْرِ بِمَنْ رَفَعَ مَخْلُوقًا إِلَى مَرْتَبَةِ مَخْلُوقٍ آخَرَ؟! وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٤٠٧٢)، والبداية والنهاية (٩/ ٤٦٥).

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسِيلِمَةَ نَبِيٌّ.

فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ وَحَلَّ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَلَمْ تَنْفَعُهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ أَوْ صَحَابِيًّا أَوْ نَبِيًّا إِلَى مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ أَيْضًا^(١): الَّذِينَ حَرَّفَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ كُلَّهُمْ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الْإِعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكْفِرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ وَالْإِعْتِقَادَ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْفِرُ؟

[١] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ حَرَّفَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ...» إلخ^(١)؛ هَذَا جَوَابٌ رَابِعٌ، فَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَتَعَلَّمُوا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعُهُمْ هَذَا مِنَ الْحُكْمِ بِكُفْرِهِمْ، وَتَحْرِيقِهِمْ بِالنَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّهُ إِلَهٌ، مِثْلَ مَا يَدَّعِي هَؤُلَاءِ بِمَنْ يُؤْهَوُّهُمْ، كَشَمْسَانَ وَغَيْرِهِ.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى قَتْلِ هَؤُلَاءِ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُجْمِعُونَ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَا يَحِلُّ قَتْلُهُ، وَتَكْفِيرِ مَنْ لَيْسَ بِكَافِرٍ؟! ذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ. أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالْإِعْتِقَادَ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَضُرُّ؟!!

(١) أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابةهم، رقم (٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدِ الْقَدَّاحِ^[١] الَّذِينَ مَلَكَوا الْمَغْرِبَ وَمَضَرَ فِي زَمَانِ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِيَدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا^[٢]: إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ.....

[١] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدِ الْقَدَّاحِ...» إِنْخ؛ هَذَا جَوَابٌ خَامِسٌ، وَهُوَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كُفْرِ بَنِي عُبَيْدِ الْقَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكَوا الْمَغْرِبَ وَمَضَرَ، وَكَانُوا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَاتِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ بِالرَّدَّةِ حِينَ أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَشْيَاءَ دُونَ التَّوْحِيدِ، حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، وَاسْتَنْقَذُوا مَا بِيَدِيهِمْ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ...» إِنْخ؛ هَذَا جَوَابٌ سَادِسٌ، مَضْمُونُهُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا حِينَ جَمَعُوا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ وَالِاسْتِكْبَارِ؛ فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ أَنْوَاعِ مِنَ الْكُفْرِ فِي «بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ» كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا يَكْفُرُ، حَتَّى ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ، فَلَوْلَا أَنَّ الْكُفْرَ يَحْصُلُ بِفِعْلِ نَوْعٍ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ الْفَاعِلُ مُسْتَقِيمًا فِي جَانِبٍ آخَرَ - لَمْ يَكُنْ لِيَذْكُرِ الْأَنْوَاعَ فَإِنَّدَةً.

يَقُولُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: وَمِمَّا يَدْفَعُ شُبْهَةَ هَؤُلَاءِ، هُمْ الْفُقَهَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ، ذَكَرُوا فِي كُتُبِهِمْ «بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ» وَذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، حَتَّى ذَكَرُوا الْكَلِمَةَ يَذْكُرُهَا

الشِّرْكُ وَتَكْذِيبِ الرُّسُولِ وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى الْبَابِ الَّذِي ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: «بَابُ حُكْمِ الْمُتَدَّ» وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكْفَرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّى إِتَمَّ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ^[١] ﴿يَخْلِفُونَ﴾ بِاللَّهِ مَا قَالُوا.....

= الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعْقِدُهَا بِقَلْبِهِ، أَوْ يَذْكُرُهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَرْحِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِهَا، وَسَيَأْتِي لِدَلِيلِكَ مَزِيدُ بَيَانٍ وَإِضَاحٍ.

[١] قَوْلُهُ: «وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَخْلِفُونَ﴾ بِاللَّهِ مَا قَالُوا...»

إِلْخ؛ هَذَا جَوَابُ سَابِعٍ، مَضْمُونُهُ وَاقِعَتَانِ:

الأولى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ بِكُفْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يُصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَيُحْجُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيُؤَحِّدُونَ.

الثانية: أَنَّهُ حَكَمَ بِكُفْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اسْتَهْزَؤُوا بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالُوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجَبْنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ» يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَإِيَّاهُ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْنِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ^(١) فَحَكَمَ بِكُفْرِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ وَلَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْحِدِّ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، ثُمَّ ذَكَرَ

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩).

وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴿[التوبة: ٧٤]﴾. أَمَّا سَمِعَتْ اللَّهُ كَفَرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيُزَكُّونَ، وَيُحْجُّونَ، وَيُؤَحِّدُونَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآلِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]﴾.

فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللَّهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ. فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ وَهِيَ قَوْلُهُمْ:

تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَا سَاءَ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ وَيُصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ^[١] أَيْضًا مَا حَكَى اللَّهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَقَوْلُ أَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ».....

= الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْجَوَابَ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ» أَيُّ: عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ مَا هُوَ كُفْرٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ قَوْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَقَوْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّمَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ

فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾.

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» لَمْ يَكْفُرُوا.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

= ۱. اَللّٰهُ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿لَتَرْكِبْنَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾^(١) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى وَحُمَمَدًا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَنْكَرَا ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، فَإِنَّ هَذَيْنِ النَّبِيِّينَ الْكَرِيمَيْنِ لَمْ يُقَرَّا أَقْوَامَهُمَا عَلَى هَذَا الطَّلَبِ الَّذِي طَلَبُوهُ، بَلْ أَنْكَرَاهُ.

وَقَدْ شَبَّهَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذَا الدَّلِيلِ فَقَالَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ.

وَجَوَابُ هَذِهِ الشُّبْهَةِ: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ حِينَ لَقُوا مِنَ الرُّسُولَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ إِنْكَارَ ذَلِكَ.

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/٥)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠)، من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ أَنَّ الْمُسْلِمَ -بَلِ الْعَالِمَ- قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرْكِ، لَا يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهْمُنَاهُ» أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ^[١].

وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ^[٢] إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كُفْرٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي فَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَتُفِيدُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ^[٣] فَإِنَّهُ يُغْلَظُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَغْلِظًا.....

[١] هَذَا شُرُوعٌ فِي بَيَانِ مَا تُفِيدُهُ هَذِهِ الْقِصَّةُ -أَعْنِي قِصَّةَ الْأَنْوَاطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ- مِنْ الْفَوَائِدِ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ أَنْوَاعِ الشَّرْكِ، وَهَذَا يُوجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَعْرِفَ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي الشَّرْكِ وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَأَنَّهُ إِذَا قَالَ: «أَنَا أَعْرِفُ الشَّرْكَ» وَهُوَ لَا يَعْرِفُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أخطر مَا يَكُونُ عَلَى الْعَبْدِ؛ لِأَنَّ هَذَا جَهْلٌ مُرَكَّبٌ، وَالْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ شَرٌّ مِنَ الْجَهْلِ الْبَسِيطِ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ جَهْلًا بَسِيطًا يَتَعَلَّمُ وَيَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ جَهْلًا مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ يَظُنُّ نَفْسَهُ عَالِمًا وَهُوَ جَاهِلٌ، فَيَسْتَمِرُّ فِيهَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ الْمُخَالِفِ لِلشَّرِيعَةِ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَيُفِيدُ أَيْضًا أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ...» إلخ؛ هَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ، أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا قَالَ مَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ جَاهِلًا بِذَلِكَ ثُمَّ نَبَّهَ فَانْتَبَهَ وَتَابَ فِي الْحَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ؛ لِأَنَّهُ مَعْدُورٌ بِجَهْلِهِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، أَمَّا لَوْ اسْتَمَرَ عَلَى مَا عِلِمُهُ مِنَ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَالُهُ.

[٣] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ...» إلخ؛ هَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ،

شَدِيدًا كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَى^[١] يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ.....

= أَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ لَا يَذَرِي عَنِ الشَّيْءِ إِذَا طَلَبَ مَا يَكُونُ بِهِ الْكُفْرُ فَإِنَّهُ يُعَلِّطُ عَلَيْهِ تَغْلِيظًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ^(١): «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّمَا السُّنَنُ لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ» وَهَذَا إِنكَارٌ ظَاهِرٌ.

[١] قَوْلُهُ: «وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَى...» إلخ؛ يَعْنِي: لِلْمُشْرِكِينَ الْمُشَبَّهِينَ شُبْهَةً أُخْرَى مَعَ مَا سَبَقَ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَهِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَ الرَّجُلِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَقَالَ: «أَقْتُلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أُسَامَةَ حَتَّى قَالَ أُسَامَةُ: «تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ بَعْدُ»^(٢) وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣) وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَا يَكْفُرُ وَلَا يُقْتَلُ وَإِنْ كَانَ عَلَى الشِّرْكِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا مِنَ الْجَهْلِ الْعَظِيمِ، فَلَيْسَ قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مُنْجِيًا مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمُخْلَصًا لِلْإِنْسَانِ مِنَ الشِّرْكِ إِذَا كَانَ يُشْرِكُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/٥)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠)، من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. بدون الزيادة الأخيرة.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات، رقم (٤٢٦٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم (٩٦)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة.

أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ قَتَلَ مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا. وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ، وَلَا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيَقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَّاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ^[١].

[١] قَوْلُهُ: «فَيَقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجُهَّالِ...» إلخ؛ هَذَا جَوَابُ الشُّبْهَةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ فِيمَا سَبَقَ.
وَجَوَابُهَا بِمَا يَلِي:

أَوَّلًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَّاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ثَانِيًا: أَنَّ الصَّحَابَةَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ^(١) وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

ثَالِثًا: أَنَّ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

(١) انظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، رقم (٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مُقَرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَهَا. فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرَعًا مِنَ الْقُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟^[١]

وَلَكِنْ أَعْدَاءُ اللَّهِ مَا فَهَمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ: فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَى الْإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَى الْإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ، وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] أَي: فَتَبَيَّنُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنَى^[٢].

[١] قَوْلُهُ: «وَهُؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مُقَرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ...» إِنْ خ؛ هَذَا إِنْزَامٌ هُؤُلَاءِ الْجَهْلَالِ وَاحْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ بِمِثْلِ مَا قَالُوا بِهِ، فَقَدْ قَالُوا: إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ كَافِرًا، وَيَقُولُونَ: مَنْ جَحَدَ وَجُوبَ شَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ وَيُقْتَلُ، وَإِنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَكَيْفَ لَا يَكْفُرُ وَلَا يُقْتَلُ مَنْ يَجْحَدُ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الدِّينِ وَإِنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟! أَفَلَا يَكُونُ هَذَا أَحَقَّ بِالتَّكْفِيرِ مِمَّنْ جَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ وَجُوبَ الزَّكَاةِ؟! وَهَذَا إِنْزَامٌ صَحِيحٌ لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ أَعْدَاءُ اللَّهِ مَا فَهَمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ...» إِنْ خ؛ يَعْنِي الْأَحَادِيثَ الَّتِي شَبَّهُوا بِهَا، ثُمَّ أَخَذَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِبَيِّنٍ مَعْنَاهَا فَقَالَ:

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَأَمثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ، أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ
وَالْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ مَا يُنَافِضُ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ
النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

= فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ، يَعْنِي الْحَدِيثَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ قَالَ:
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» حِينَ لَحِقَهُ أُسَامَةُ لِيَقْتُلَهُ، وَكَانَ مُشْرِكًا، فَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ^(١) فَقَتَلَهُ
أُسَامَةُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُخْلِصًا فِي قَوْلِهِ، وَإِنَّمَا قَالَهُ تَخَلُّصًا، فَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ
مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَهُوَ مُسْلِمٌ وَمَعْصُومٌ الدِّمَ، وَلَكِنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ
الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُنْظَرُ فِي حَالِهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ.

وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلَّفُ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَكْفُرُ الَّذِينَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] الْآيَةَ. فَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالتَّبَيُّنِ - أَيْ التَّثَبُّتِ - وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ خِلَافَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُعَامَلَ بِمَا يَتَبَيَّنُ مِنْ حَالِهِ،
فَإِذَا بَانَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ قُتِلَ، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ مُطْلَقًا إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ فَائِدَةً
لِلْأَمْرِ بِالتَّثَبُّتِ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ حَدِيثَ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ:
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهُوَ مُشْرِكٌ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَالْأَمْوَاتَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ
يَكُونُ مُسْلِمًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات، رقم (٤٢٦٩)،
ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم (٩٦)، من حديث
أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيُّمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ لَئِنْ أَدْرَكْتُمُهمْ لَا قَتَلْنَهُمْ قَتَلَ عَادٍ» مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسْبِيحًا، حَتَّى إِنْ الصَّحَابَةُ يَحْقُرُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَلَا كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الْإِسْلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ^[١].

[١] قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخِرُ وَأَمثَالُهُ» يُرِيدُ بِالْحَدِيثِ الْآخِرِ قَوْلَهُ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ...» إلخ؛ فَبَيَّنَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَمْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّبَيُّنِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ إِذَا كُنَّا فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ، أَمَّا لَوْ كَانَ قَوْلُهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِمُجَرَّدِهِ عَاصِمًا مِنَ الْقَتْلِ فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَى التَّبَيُّنِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِأَنَّ الَّذِي قَالَ لِأَسَامَةَ: «أَقْتُلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١) وَقَالَ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...»^(٢) هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَقَالَ: «أَيُّمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»^(٣) مَعَ أَنَّ الْخَوَارِجَ يُصَلُّونَ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَهُمْ قَدْ تَعَلَّمُوا مِنَ الصَّحَابَةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى الْحَرَقَاتِ، رَقْمُ (٤٢٦٩)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَقْمُ (٩٦)، مِنْ حَدِيثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ (١٣٩٩)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، رَقْمُ (٢٠)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ اسْتِثْنَاءِ الْمُتَدِينِ، بَابُ قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، رَقْمُ (٦٩٣٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ التَّحْرِيزِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، رَقْمُ (١٠٦٦)، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَكَذَلِكَ
أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزَوْا بَنِي الْمُصْطَلِقِ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّى
أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بَنِي فَتَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وَكَانَ
الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي
اِخْتَجَّوْا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ^(١).

وَلَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى: وَهُوَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ
بِآدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ بَعْيسَى، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُ، حَتَّى يَنْتَهَوْا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغَاةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شَرْكًَا.

وَالْجَوَابُ: أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ! فَإِنَّ الْإِسْتِغَاةَ
بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا تُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَغْنُ
الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الْإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ
فِي الْحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ،.....

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَصِلْ إِلَى قُلُوبِهِمْ كَمَا قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»^(١).

[١] وَهُوَ أَنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَيْسَ مَانِعًا مِنَ الْقَتْلِ، بَلْ يُجَوِزُ قِتَالَ مَنْ
قَالَهَا إِذَا وَجَدَ سَبَبٌ يَقْتَضِي قِتَالَهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به،
رقم (٥٠٥٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤)، من حديث
أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ^[١].

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَاسْتِغَاثَتُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ فَتَقُولَ لَهُ: اذْعُ اللَّهُ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَا وَكَأَلَا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسِهِ؟^[٢]

[١] قَوْلُهُ: «وَلَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى» يَعْنِي فِي أَنْ الْإِسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شَرْكَاءَ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهَا بِجَوَابَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ اسْتِغَاثَةٌ بِمَخْلُوقٍ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَا يُنْكَرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَعْنُهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾.

الْجَوَابُ الثَّانِي: أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَسْتَغِيثُوا بِهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ لِيُزِيلُوا عَنْهُمْ الشَّدَّةَ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِيُزِيلَ هَذِهِ الشَّدَّةَ، وَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِالْمَخْلُوقِ لِيُكْشِفَ عَنْهُ الضَّرَرَ وَالسُّوءَ، وَمَنْ يَسْتَشْفِعُ بِالْمَخْلُوقِ إِلَى اللَّهِ لِيُزِيلَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ.

[٢] قَوْلُهُ: «إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَاسْتِغَاثَتُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ...» إلخ؛ هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الثَّانِي، وَهُوَ أَنَّ اسْتِغَاثَتَهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَابِ طَلَبِ دُعَائِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُرِيحَ الْخَلْقَ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، وَلَيْسَ دُعَاءَ لَهُمْ، بَلْ طَلَبُ دُعَائِهِمْ لِرَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا أَمْرٌ جَائِزٌ،

= كَمَا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ لَهُمْ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا» وَلَمْ يَقُلْ: فَادْعُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ قَالَ: «فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا» فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَحَابَةً فَأَمْطَرَتْ، وَلَمْ يَرَوْا الشَّمْسَ أُسْبُوعًا كَامِلًا، وَالْمَطَرُ يَنْهَمِرُ، وَفِي الْجُمُعَةِ التَّالِيَةِ دَخَلَ رَجُلٌ أَوْ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غَرَقَ الْمَالُ، وَتَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكْهَا عَنَّا» فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظَّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» فَانْفَرَجَتِ السَّمَاءُ، وَخَرَجَ الصَّحَابَةُ يَمْشُونَ فِي الشَّمْسِ^(١).

فَهَذَا طَلَبُ دُعَاءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَيْسَ دُعَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا اسْتِغَاثَةً بِهِ، وَبِهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ الَّتِي لَبَسَ بِهَا هَؤُلَاءِ شُبْهَةٌ لَا تَنْفَعُهُمْ، بَلْ هِيَ حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ تَأْتِيَ لِرَجُلٍ صَالِحٍ تَعْرِفُهُ وَتَعْرِفُ صِلَاحَهُ، فَتَسْأَلُهُ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ لَكَ، وَهَذَا حَقٌّ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ دَيْدَنًا لَهُ، كُلَّمَا رَأَى رَجُلًا صَالِحًا قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ عَادَةِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفِيهِ اتِّكَالٌ عَلَى دُعَاءِ الْغَيْرِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا رَبَّهُ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم (١٠١٣)، ومسلم: كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَهُمْ شُبُهَةٌ^(١) أُخْرَى وَهِيَ: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟

= يَفْعَلُ عِبَادَةً يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] الْآيَةَ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا دَعَا رَبَّهُ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَنَالُ أَجْرَ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ يَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي حُصُولِ الْمَنْفَعَةِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا طَلَبَ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُ فَإِنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ، وَرَبِّمَا يَكُونُ تَعَلُّقُهُ بِهَذَا الْغَيْرِ أَكْثَرَ مِنْ تَعَلُّقِهِ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَهَذَا الْأَمْرُ فِيهِ خُطُورَةٌ.

وَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا طَلَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَخْصٍ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْمُومَةِ».

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا طَلَبَ مِنْ شَخْصٍ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ أَنْ يَنْوِي بِذَلِكَ نَفْعَ ذَلِكَ الْغَيْرِ بِدُعَائِهِ لَهُ، فَإِنَّهُ يُؤْجِرُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّمَا يَنَالُ مَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَعَا لِأَخِيهِ بَظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهَا»^(١).

[١] قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ... إلخ».

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الشُّبُهَةِ:

أَنَّ جِبْرِيلَ إِنَّمَا عَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرًا مُمَكِّنًا، يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ بِهِ، فَلَوْ أَدْنَى اللَّهُ لِجِبْرِيلَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٢٧٣٢)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ الْإِسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكًَا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الْأُولَى؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، يَرَى رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ، أَوْ أَنْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَضْبِرَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مَنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ. فَأَيْنَ هَذَا مِنَ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشَّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

= لَا تَقْدَرُ إِبْرَاهِيمَ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقُوَّةِ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] فَلَوْ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

ثُمَّ ضَرَبَ الْمُؤَلِّفُ بِهَذَا مَثَلًا: رَجُلٌ غَنِيٌّ أَتَى إِلَى فَقِيرٍ فَقَالَ: هَلْ لَكَ حَاجَةٌ فِي الْهَالِ؟ مِنْ قَرْضٍ أَوْ هَبَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؟ فَإِنَّمَا هَذَا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُعَدُّ هَذَا شِرْكًَا. لَوْ قَالَ: نَعَمْ، لِي حَاجَةٌ، أَقْرِضْنِي، أَوْ هَبْنِي، لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا.

وَلَنُخْتِمَ الْكَلَامَ^(١) - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِنْ نُفَرِّدُ لَهَا الْكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَتَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ، فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَفَرَ عَوْنٌ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَلِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلُطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ،.....

[١] خَتَمَ الْمُؤَلِّفُ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ، هِيَ:

أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُوَحِّدًا بِقَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ مُوَحِّدًا بِقَلْبِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُوحِّدْ بِقَوْلِهِ أَوْ بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ صَادِقٍ فِي دَعْوَاهُ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ الْقَلْبِ يَتَّبِعُهُ تَوْحِيدُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

فَإِذَا وَحَّدَ اللَّهُ كَمَا زَعَمَ بِقَلْبِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُوحِّدْهُ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ فَإِنَّهُ مِنْ جِنْسِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ مُسْتَيْقِنًا بِالْحَقِّ عَالِمًا بِهِ، لَكِنَّهُ أَصَرَّ وَعَانَدَ وَبَقِيَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ دَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وَقَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلَكِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ^[١].

وَلَمْ يَذِرِ الْمُسْكِينُ^[٢] أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ،

[١] قَوْلُهُ: «وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...» إلخ؛ يَعْنِي أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ الْحَقَّ فِي هَذَا، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلَكِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ لِمُخَالَفَتِهِ أَهْلَ بَلَدِنَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ، وَهَذَا الْعُذْرُ لَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَا اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَوْ سَخَطَ النَّاسُ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَهَذَا يُشْبِهُ مَنْ يَخْتَجُونَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] وَالآيَةُ الْأُخْرَى: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

[٢] قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَذِرِ الْمُسْكِينُ» أَيِ الْمُعَدِّمِ مِنَ الْفِقْهِ وَالْبَصِيرَةِ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، لَكِنَّهُمْ عَانَدُوا فَخَالَفُوا الْحَقَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وَقَالَ: ﴿أَشْتَرَوْا بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فَكَانُوا يَعْتَدِرُونَ بِأَعْذَارٍ لَا تَنْفَعُهُمْ، كَخَوْفِ بَعْضِهِمْ مِنْ فَوَاتِ الرَّئِيسَةِ، وَتَصَدُّرِ الْمَجَالِسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَكَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفَرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ وَلَا يَتَّبِعُونَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ دُونَ الْعَمَلِ بِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ بِالْحَقِّ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلَ بِالْحَقِّ يُعْذِرُ، وَقَدْ يُعْلَمُ فَيَتَّبِعُهُ وَيَتَعَلَّمُ، بِخِلَافِ الْمُعَانِدِ الْمُسْتَكْبِرِ، وَهَذَا كَانَ الْيَهُودَ مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ لِعِلْمِهِمْ بِالْحَقِّ وَتَرْكِهِمْ إِيَّاهُ، وَكَانَ النَّصَارَى ضَالِّينَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الْحَقَّ، لَكِنْ بَعْدَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ كَانَ النَّصَارَى عَالِمِينَ فَكَانُوا مِثْلَ الْيَهُودِ فِي كَوْنِهِمْ مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لَشَيْءٍ مِنَ الْأَعْذَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا^{١١} وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ، أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ^{١٢} تَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ،

[١] يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ ظَاهِرًا - أَيْ بِاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ - وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَفْهَمْهُ فَإِنَّهُ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْمَصْرَحِ بِكُفْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

وَهَذَا ظَاهِرٌ فَيَمَنْ كَانَ مُعَانِدًا يَعْلَمُ الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْقَرَّ بِهِ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَ الْإِلْتِزَامَ بِالشَّرِيعَةِ خِدَاعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَا يَفْهَمُهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يَدْرِي، وَلَكِنَّهُ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ النَّاسُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يُبَلِّغَ وَيُعَلِّمَ، فَإِنْ أَصَرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ إنْكَارِهِ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

[٢] بَيَّنَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ، يَعْنِي أَنَّ تَبَعُهَا يَطُولُ بِوَاسِطَةِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ يَأْبَى الْحَقَّ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلَامَ عَلَيْهِ، أَوْ رَجَاءَ لِحَاجَةٍ أَوْ دُنْيَا، فَيَحْتَاجُ أَنْ يَتَّبَعَ أَحْوَالَ النَّاسِ وَيَعْرِفَهَا تَمَامًا حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ هُوَ مُنَافِقٌ وَمَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ إِيْمَانًا خَالِصًا.

تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ بِهِ؛ خَوْفِ نَقْصِ دُنْيَا، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ لِأَحَدٍ،
وَتَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ،
وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:

أُولَاهُمَا^(١): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٦] فَإِذَا
تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوْا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرُوا
بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ - تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَفْرِ،
أَوْ يَعْمَلُ بِهِ؛ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ لِأَحَدٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ
بِكَلِمَةٍ يَمْزُحُ بِهَا.

[١] يَحُثُّ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى تَدْبِيرِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

أُولَاهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي
الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ سَبَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ^(١).

فَالْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ كَفَرُوا بِكَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْجِدِّ، فَمَا بِالْكَ بِمَنْ
يَكْفُرُ كُفْرًا جَدِّيًا؟! يُرِيدُهُ بِقَلْبِهِ مِنْ أَجْلِ خَوْفِ فَوَاتِ مَرْكَزٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مَا أَشَبَهُ ذَلِكَ،
فَإِنَّهُ يَكُونُ أَعْظَمَ وَأَعْظَمَ.

فَالْوَاقِعُ أَنَّ كُلَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، سَوَاءٌ فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً أَوْ فَعَلُوهُ عَلَى
سَبِيلِ الْجِدِّ وَالْكَفْرِ، خَوْفًا أَوْ رَجَاءً، فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ فَهُوَ
مُنَافِقٌ عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ.

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩).

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ^[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴿[النحل: ١٠٦-١٠٧]﴾. فَلَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، سَوَاءً فَعَلَهُ خَوْفًا أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشْحَةً بِوَطْنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ إِلَّا الْمُكْرَهَ. فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا^[٢] مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأولى: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ فَلَمْ يَسْتَشْنِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى الْكَلَامِ أَوْ الْفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

[١] هَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي حَثَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى تَدَبُّرِهَا، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُكْرَهًا، وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ، لِأَيِّ غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ، سَوَاءً كَانَ مُزَاحًا، أَوْ مَشْحَةً فِي وَظِيفَةٍ، أَوْ دِفَاعًا عَنْ وَطْنٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ لَمْ يَعْذِرْ مَنْ كَفَرَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُكْرَهًا، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ.

[٢] أَيُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَسْتَشْنِ فِي الْآيَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ، وَالْإِكْرَاهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، أَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَتَصَوَّرُ فِيهَا الْإِكْرَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُكْرَهَ شَخْصًا فَيَقُولَ: لَا بُدَّ أَنْ تَعْتَقِدَ كَذَا وَكَذَا؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ بَاطِنٌ لَا يَعْلَمُ بِهِ، وَإِنَّمَا الْإِكْرَاهُ عَلَى مَا ظَهَرَ فَقَطُّ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

وَالثَّانِيَةُ^[١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الْإِعْتِقَادِ أَوْ الْجَهْلِ، أَوْ الْبُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حِطًّا مِنْ حُطُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ^[٢].

[١] الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، فَكَانَ كُفْرُهُمْ سَبَبُهُ أَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَيَعْنِي بِالدُّنْيَا كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ جَاهٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ رِئَاسَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّنْ آثَرَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَكُفْرُهُ مِنْ أَجْلِ إِثَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِبًّا لِلْكَفْرِ، وَلَكِنَّهُ مُسْتَحِبُّ لِحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكْفُرُ؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَيُعْجِبُهُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَكْفُرُ لِمَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ رِئَاسَةٍ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَكْفُرُ لِنَيْالٍ بِذَلِكَ شَيْئًا مِنَ السُّلْطَانِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَالْأَغْرَاضُ كَثِيرَةٌ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَأَنْ لَا يُزَيِّغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا.

[٢] خَتَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَهُ هَذَا بِرَدِّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِهَذَا انْتَهَى كِتَابُ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّبَ مُؤَلَّفَهُ أَحْسَنَ ثَوَابٍ وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا نَصِيبًا مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

أسئلة على كشف الشبهات

فإن هذه الآية نزلت في قوم غزروا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم قالوا كلمة الكفر
 على وجه المزح واللعب فكيف بمن قالوا أو عمل بالكفر لم يراه ونحو ذلك وأما الآية
 الثانية فهي قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن
 بالإيمان ولكن من ستر بالكفر صدرا فاعلمهم غصب منه) ولهم عذاب عظيم
 ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين
 ودلالة على ذلك من وجهين الأول أن الله لم يستثن من ذلك إلا الكفر ومعلوم
 أن الإكراه لا يتصور إلا على العقل والعمل فإذا قال الإنسان أو عمل كفر الغير
 الإكراه فإن الآية تدل على كفر الدنيا الثاني أنه رقت على القرض الذي من
 أجله ارتد عن الإسلام وهو محبة الحياة الدنيا ونيل شهواته وأغراضه
 منه وليس ليقض الدين أو محبة الكفر وإنما هو لتقديم دنياه على دينه
 جميع ولا شك أن المداخ من الأغراض الدنيوية إذا نه تحلى من محبتها
 وشرفه وأما من أخذ ما له أو ضربه ونحو ذلك
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم كتب مراد صالح العثيمين وكان الفراغ منه في
 من شهر ربيع الأول عام ١٤٧٦ هـ

أَسْئَلَةٌ عَلَى كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

س ١: مَا هُوَ مَوْضُوعُ كِتَابِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ؟

ج ١: مَوْضُوعُهُ: دَفْعُ الْإِعْتِرَاضَاتِ وَالشُّبُهَاتِ الَّتِي كَانَ الْكُفَّارُ يُمَوِّهُونَ بِهَا؛ لِيُبَرِّرُوا شُرَكَاهُمْ؛ وَلِذَلِكَ اكْتَفَى الْمُؤَلِّفُ بِعُنْوَانِ الْكِتَابِ عَنْ خُطْبَةٍ تُبَيِّنُ الْمَقْصُودَ مِنْهُ، وَعَدَدُ الشُّبُهَةِ ١١ شُبُهَةً، وَوُلِدَ عَامَ ١١١٥ هـ، وَتُوفِّيَ عَامَ ١٢٠٦ هـ، وَعُمُرُهُ ٩١ سَنَةً.

❖ ❖ ❖

س ٢: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ دِينُ الرُّسُلِ جَمِيعِهِمْ؟

ج ٢: التَّوْحِيدُ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ دِينُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٢٥].

❖ ❖ ❖

س ٣: مَنْ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟ وَمَا السَّبَبُ فِي بَعَثَةِ الرُّسُلِ؟

ج ٣: أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ آدَمُ، وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ، وَالسَّبَبُ فِي بَعَثَتِهِ هُوَ الْغُلُوفُ فِي الصَّالِحِينَ: وَدَّ وَسَوَاعٍ وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسِرَ، حَتَّى عَبْدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ.



س ٤: كَيْفَ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الَّذِي كَسَرَ صُورَ الْأَصْنَامِ الْآتِيَةِ:

وَ دَّ وَسَوَاعٍ وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسِرَ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ أَصْنَامًا لِقَوْمِ نُوحٍ؟

ج ٤: لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ نَقَلَهَا الْعَرَبُ إِلَى أَصْنَامٍ كَانَتْ لَهُمْ، فَقَدْ كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ صَنَمًا يَدْعُونَهُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ.



س ٥: مَنْ آخِرُ الرُّسُلِ؟ وَهَلْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ يُنْكِرُونَ الْخَالِقَ أَمْ لَا؟

ج ٥: آخِرُ الرُّسُلِ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ يَتَعَبَّدُونَ وَيَحْجُونَ

وَيَتَصَدَّقُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ النَّافِعُ الضَّارُّ، وَلَكِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ، وَيَجْعَلُونَ وَسَطَاءَ يَدْعُونَهُمْ وَيَعْبُدُونَهُمْ.



س ٦: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ الْمَشْرِكُونَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ وَهَلْ أَدَخَلَهُمْ

ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ؟

ج ٦: التَّوْحِيدُ الَّذِي أَقَرُّوا بِهِ هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ

مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ ﴿ لقمان: ٢٥ ﴾ وَلَمْ يَدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ.



س ٧: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ وَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ؟

ج ٧: هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴾ [ص: ٥] وَقَوْلِهِ: ﴿ وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]

وَقَوْلِهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١) وَالَّذِينَ شَامِلٌ

لِلدُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالذَّبْحِ وَالنَّذْوَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُعَدُّ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ.



س ٨: مَا مُرَادُ النَّبِيِّ ﷺ بِ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟ وَهَلْ كَانَ الْكُفَّارُ يَعْرِفُونَ مَعْنَاهَا؟

ج ٨: مُرَادُهُ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالْكَفَرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ،

وَالْكَفَّارُ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا مُرَادُهُ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص: ٥].



س ٩: هَلْ كَانَ الْمَدْعُونَ لِلْإِسْلَامِ فِي زَمَنِ الْمُؤَلَّفِ يَعْرِفُونَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟

ج ٩: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، وَيَظُنُّ أَنَّهَا مَجْرَدُ النَّطْقِ، وَالْحَادِثُ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُ

أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللَّهُ، وَعَلَى هَذَا فَحَالُ الْكُفَّارِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ

بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَهْمِ مَعْنَاهَا خَيْرٌ مِنْ حَالِ أَوْلَئِكَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم

(٢٩٤٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله،

رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س ١٠: مَا مُرَادُ الْمُؤَلِّفِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعَذِّرُ بِالْجَهْلِ»؟

ج ١٠: مُرَادُهُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، سَوَاءً أَكَانَ عَارِفًا بِمَعْنَاهَا أَوْ جَاهِلًا جَهْلًا لَا يُعَذِّرُ بِهِ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ الْحَقَّ، وَلَا يَخْرِصُ عَلَى تَحْصِيلِهِ^(١).



س ١١: مَا مَعْنَى قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ: «وَالْعَامِيُّ مِنَ الْمُوحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ...» إلخ؟

ج ١١: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْمُوَحِّدَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ مَا يَقْطَعُ بِهِ حُجَجَ الْمُشْرِكِينَ مَهْمَا عَظُمُوا، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُهْمَلَ نَفْسَهُ بِلَا سَلَاحٍ يَرُدُّ بِهِ أَعْدَاءَ اللَّهِ.



س ١٢: مَا هُوَ السَّلَاحُ الَّذِي يُرَدُّ بِهِ أَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟

ج ١٢: هُوَ الْقُرْآنُ، فَمَا مِنْ حُجَّةٍ بَاطِلَةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ نَفْسِيًا﴾ [الفرقان: ٣٣].



(١) في مسألة العذر بالجهل ينظر: شرح كشف الشبهات (ص: ٤٤-٥٤)، ولزيد تفصيل ينظر: القول المفيد (١/ ١٧٣-١٧٤).

س ١٣: مَا كَيْفِيَّةُ طَرِيقَةِ الرَّدِّ عَلَى الْمُبْطِلِينَ؟

ج ١٣: الرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ.

فَأَمَّا الْمُجْمَلُ فَيَقَالُ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ كُلُّهُ حَقٌّ، وَالْحَقُّ لَا يَتَنَاقَضُ فِي نَفْسِهِ، فَإِذَا أَتَى الْمُبْطِلُ بِآيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ يَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى رَأْيِهِ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْنَا ذَلِكَ، وَجَبَ عَرْضُهُ عَلَى النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي لَا شُبْهَةَ فِيهَا، حَتَّى يَكُونَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا لَا تَنَاقُضَ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ الْمُبْطِلُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَالْأَوْلِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ.

فَقُلْ لَهُ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُفْرِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ لَا شُبْهَةَ فِيهِ، وَأَنَّ مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ وَالِاسْتِشْفَاعِ بِهِمْ مُسْتَدِلٌّ عَلَيْهِ بِمَا أوردته مِنَ النُّصُوصِ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ، يَجِبُ رَدُّهُ إِلَى الْمُحْكَمِ الْوَاضِحِ؛ لِتَتَّفِقَ النُّصُوصُ وَلَا تَتَنَاقُضَ.

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الْمُفَصَّلُ: فَهُوَ أَنْ نَرُدَّ كُلَّ شُبْهَةٍ بِخُصُوصِهَا بِنَصِّ خَاصٍّ.



س ١٤: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الْأُولَى وَالرَّدَّ عَلَيْهَا.

ج ١٤: الشُّبْهَةُ الْأُولَى أَنْ يَقُولَ: أَنَا لَا أَشْرِكُ بِاللَّهِ، بَلْ أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَكِنِّي مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَأَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا لِي عِنْدَ اللَّهِ.

وَجَوَابُهُ: أَنَّ ذَلِكَ هُوَ شِرْكُ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُقَرَّرِينَ بِمَا أَفَرَزَتْ بِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ أَلْسِنَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].



س ١٥: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الثَّانِيَةِ وَجَوَابَهَا.

ج ١٥: الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّ يَقُولُ: إِنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْأَصْنَامِ وَيَعْبُدُونَهَا، وَأَنَا لَسْتُ أَتَقَرَّبُ إِلَى الْأَصْنَامِ، وَإِنَّمَا أَتَقَرَّبُ إِلَى قَوْمٍ صَالِحِينَ، فَكَيْفَ يَكُونُ الصَّالِحُونَ كَالْأَصْنَامِ؟
وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكُفَّارَ وَإِنْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُقَرَّرِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا لِيَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَتَشْفَعَ لَهُمْ، وَهَكَذَا كَانَتْ حَالُكَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ مَنْ يَعْبُدُ الصَّالِحِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وَقَالَ فِي مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ بِإِيَّائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسْنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴿سبأ: ٤٠-٤١﴾ الْآيَةُ. وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ كُفَّارٌ، قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.



س ١٦: اذكر خلاصة الشبهة الثالثة وجوابها.

ج ١٦: الشبهة الثالثة أن يقول: إن الكفار يريدون منهم نفعاً أو ضرراً، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار، وأن الصالحين ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو شفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو قول الكفار، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وهذه الشبهة الثلاث هي أكبر ما لديهم.



س ١٧: ما هي خلاصة الشبهة الرابعة والجواب عليها؟

ج ١٧: الشبهة الرابعة أن ينكر أن دعاءهم عبادة.

وجوابه أن يقال: هل تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة له؟ فإذا قال: نعم، قيل: وهل تعرف أن للعبادة أنواعاً؟ فإن كان لا يعرف، فبين أن من أنواعها الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فإذا أقر بذلك فقل له: هل علمت أن صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله والإشراك به فيها شرك؟ فإذا قال: نعم، فقد أقر أن دعاء غير الله شرك، وهكذا تلزمه في الذبح والنذر للأصنام والاستغاثة بهم، وغير ذلك.



س ١٨: مَا هِيَ خُلَاصَةُ الشُّبْهَةِ الْخَامِسَةِ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا؟

ج ١٨: الشُّبْهَةُ الْخَامِسَةُ أَنَّ يَقُولَ: هَلْ تُنْكِرُ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ تُقَرُّ بِهَا؟

وَجَوَابُهُ: إِنِّي أَقَرُّ بِهَا، وَلَكِنْ أَقُولُ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَلَهَا شُرُوطٌ لَا تُقْبَلُ بِدُونِهَا:

الْأَوَّلُ: إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَالثَّانِي: رِضَاهُ عَنِ الشَّافِعِ أَيْضًا، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وَهَذَا عَامٌّ فِي الشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا.

وَالثَّالِثُ: رِضَاهُ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وَبِذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ أَطْلَبُهَا مِنْهُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَمَا أَشْبَهَهُ، وَلَا أَطْلَبُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلَبُهَا مِمَّا أُعْطَاهُ.

فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنْ نَهَاكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُ

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

الثَّانِي: أَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَبَتَتْ لِغَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ، فَإِنْ طَلَبْتُهَا

مِنْهُمْ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلَبُهَا مِنْهُ.

س ١٩: اذكر ملخص الشبهة السادسة والجواب عنها.

ج ١٩: الشبهة السادسة أن يقول: أنا لا أشرك بالله، ولكنني ألتجئ إلى الصالحين، والالتجاء إليهم ليس بشرك.

وجوابه أن يقال له: فسر الشرك الذي تنفيه عن نفسك، فإن قال: لا أدري، قيل: كيف تبرئ نفسك من شيء لا تعرفه؟! وحيتئذ نبين له معنى الشرك بالآيات الدالة عليه، ثم نوضح له أن الالتجاء إلى الصالحين داخل فيه، وإن سمي بغير الشرك، فقد كانوا يسمونه الاعتقاد.

وإن قال: أدري، قيل: فسرّه، فإن فسرّه بعبادة الأصنام، قيل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فإن فسرّها بما دلّ عليه القرآن فهو المطلوب، وإن فسرّها بأن معناها اعتقاد أنّها تخلق وترزق، قيل له: هذا يكذب القرآن، وإن فسرّها بأنّها عبادة الأصنام والأحجار والخشب ونحو ذلك، قيل: هذا خلاف ما ذكره القرآن، فقد ذكر القرآن أنّهم كانوا يعبدون الملائكة والأولياء والصالحين، وهذا هو نفس الشرك الذي تفعله، ثم تبرئ نفسك من الشرك.



س ٢٠: ذكر المصنف رحمه الله أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه بأمرين، فاذكر خلاصتهما.

ج ٢٠: هما أولاً: أن شرك الأولين خاص بحال الرخاء، أمّا حال الشدة فهم كما قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ [لقمان: ٣٢] فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ فِي حَالِ الشَّدَّةِ يُخْلِصُونَ لِلَّهِ. وَأَمَّا مُشْرِكُو زَمَانِ الْمُؤَلَّفِ فَكَانُوا يُشْرِكُونَ فِي الْحَالَيْنِ، حَالِ الرَّخَاءِ وَحَالِ الشَّدَّةِ.

ثَانِيًا: أَنَّ الْأَوَّلِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا أَنَاسًا مُطِيعِينَ لِلَّهِ، إِمَّا صَالِحِينَ كَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَإِمَّا أَشْجَارٍ أَوْ أَحْجَارٍ مُطِيعَةٍ لِلَّهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً. وَأَمَّا أَهْلُ زَمَانِ الْمُؤَلَّفِ فَكَانُوا يَدْعُونَ الْفَسَاقَ وَالْعَصَاةَ يَمْنُ يَحْكُونُ عَنْهُمْ الْفُجُورَ وَتَرَكَ الصَّلَاةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.



س ٢١: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ وَالْجَوَابُ عَنْهَا؟

ج ٢١: الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ أَنَّ يَقُولُوا: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَهُمْ؟

وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ مِنْ أَعْظَمِ شُبْهِهِمْ، وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا مِنْ وَجْهِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿[النساء: ١٥٠-١٥١] وَإِذَا آمَنْتُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَفَرْتُمْ بِبَعْضِهِ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ.

الْوَجْهَ الثَّانِي أَنْ يُقَالَ: أَنْتَ تُقَرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ
وُجُوبَ الصَّلَاةِ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدِّمِّ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَا إِنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَجَحَدَ صَوْمَ
رَمَضَانَ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا الدِّينُ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ
جَحْدُهُ كُفْرًا؟!

الثَّالِثُ أَنْ يُقَالَ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُؤَذِّنُونَ،
وَيُصَلُّونَ. فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلَمَةَ نَبِيٌّ، قُلْنَا: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، فَإِنَّهُ إِذَا
كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ كَفَرَ وَلَمْ تَنْفَعُهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ
بِمَنْ رَفَعَ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فِي رُتْبَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟!

الرَّابِعُ: إِنَّ الَّذِينَ حَرَقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(١) كُلُّهُمْ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، غَيْرَ
أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الْإِعْتِقَادِ فِي شَمْسَانَ وَيُوسُفَ، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى
كُفْرِهِمْ؟! هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ
فِي عَلِيٍّ يُكْفِّرُ وَالْإِعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يُكْفِّرُ؟!

الخَامِسُ: أَنَّ بَنِي عُبَيْدٍ الْقَدَاحِ الَّذِينَ مَلَكَوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي الْعَبَّاسِ
كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ،
فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ
وَقَتْلِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، فَغَزَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَاسْتَفْتَدُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنْ
بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧). وانظر أيضا ما
أخرجه ابن الأعرابي في معجمه رقم (٦٧، ١٥٥٣)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٢٠-٢٥٢١).

السَّادِسُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا الرَّسُولَ مَعَ الشَّرِكِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَمَا مَعْنَى الْأَنْوَاعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ فِي بَابِ الْمُزْتَدِّ، حَتَّى ذَكَرُوا مَنْ هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ عَلَى وَجْهِ اللَّعِبِ وَالْمَزْحِ؟!

السَّابِعُ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَفَّرَ أَنَا سَا كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُزَكُّونَ وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُّونَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، وَقَالَ فِي أَنَا سٍ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزَاحِ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعَذِّرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].



س ٢٢: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الثَّامِنَةِ وَالْجَوَابَ عَلَيْهَا.

ج ٢٢: الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ: قَوْلُ الْمُعْتَرِضِ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا حِينَ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»^(١).

وَالْجَوَابُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، لَكِنْ لِهَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ ثَلَاثُ فَوَائِدَ:

الأولى: أَنَّ الْمُسْلِمَ بَلِ الْعَالِمَ قَدْ يَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنَ الشُّكِّ وَهُوَ لَا يَذِرِي، فَتَوَجَّهَ

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/٥)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠)، من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَهُ الْحَذَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: (التَّوْحِيدُ فَهْمُنَاهُ) مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ.
 الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْمُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ كُفِّرَ جَاهِلًا وَتَابَ مِنْهَا إِذَا بُنِيَ فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ.
 الثَّالِثَةُ: التَّغْلِيظُ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ وَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ.



س ٢٣: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ النَّاسِعةُ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا.

ج ٢٣: هِيَ أَنَّهُ وَرَدَ أَحَادِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَقْتَضِي الكُفَّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَحَدِيثِ أُسَامَةَ الَّذِي قَتَلَ قَائِلَهَا، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ^(١)، وَكَحَدِيثِ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»^(٢)، إلخ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَا يَكْفُرُ، وَإِنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ:

الْأَوَّلُ: عَدَمُ فَهْمِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَدَّ جَوَابُهَا شُبْهَتَهُمْ، فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ فَإِنَّ الرَّجُلَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكُفُّ عَنْهُ حَتَّى يَفْعَلَ مَا يُنَافِيهِ، وَأُسَامَةُ إِنَّمَا قَتَلَهُ؛ ظَنًّا أَنَّهُ ادَّعَى الْإِسْلَامَ؛ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] فَدَلَّتِ الْآيَةُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة، رقم (٤٢٦٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم (٩٦)، من حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم (٢٩٤٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ التَّثَبُّتُ فِي أَمْرِهِ، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا مُطْلَقًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنَى.

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ...» إِنْخ، وَمَا أَشْبَهَهُ؛ يُنَزَّلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ قَاتِلُ هَذَا الْقَوْلِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْخَوَارِجِ^(١)، وَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسْبِيحًا، حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ عِبَادَتَهُمْ عِنْدَهُمْ؛ وَذَلِكَ لِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَّاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الصَّحَابَةُ بَعْدَهُ، فَقَدْ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ عَلَيَّ حَرَقَ الْعَالِيَةِ^(٢).

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: إِنَّكُمْ مُقَرَّرُونَ بِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ أَوْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَيْفَ لَا يَكْفُرُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ؟! ❖ ❖ ❖

س ٢٤: اذْكُرِ الشُّبْهَةَ الْعَاشِرَةَ وَالْجَوَابَ عَلَيْهَا.

ج ٢٤: الشُّبْهَةُ الْعَاشِرَةُ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَعِينُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُمْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعداب الله، رقم (٣٠١٧). وانظر أيضا ما أخرجه ابن الأعرابي في معجمه رقم (٦٧، ١٥٥٣)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٢٠ - ٢٥٢١).

عِنْدَ اللَّهِ، فَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ بِالْمَخْلُوقِ غَيْرُ شَرِّكَ.

وَالْجَوَابُ عَلَى تِلْكَ الشُّبْهَةِ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَعِثَّ بِالْمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَهَذِهِ جَائِزَةٌ، وَمِنْ أَدِلَّتِهَا مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي قِصَّةِ مُوسَى ﴿فَاسْتَعِثَّهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ الْمُعْتَرِضُ مِنْ اسْتِغَاثَةِ النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى إِنْسَانٍ حَيٍّ، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَكَ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَالَ حَيَاتِهِ^(١). وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَمْ يَفْعَلُوهُ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ.

وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي: فَاسْتِغَاثَةُ الْمَخْلُوقِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، كَمَنْ يَسْتَعِثُّ وَلِيًّا أَوْ غَيْرَهُ مِيتًا فِي دَفْعِ ضَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ؛ فَإِنَّ الْمِيتَ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْإِسْتِغَاثَةُ مِنَ الشَّرِّكَ.



س ٢٥: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ الْحَادِيثَةُ عَشْرَةَ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا؟

ج ٢٥: هِيَ أَنَّ جَبْرِيلَ اعْتَرَضَ لِإِبْرَاهِيمَ فِي الْهَوَاءِ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَقَالَ:

(١) مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَرْضَى، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصْرَعُ مِنَ الرِّيحِ، رَقْمُ (٥٦٥٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يَصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَزَنٍ، رَقْمُ (٢٥٧٦)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتُكْشَفُ، فَادْعِ اللَّهَ لِي».

أَلَك حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا^(١)، فَلَوْ كَانَتْ الْإِسْتِغَاثَةُ بِالْمَخْلُوقِ شَرْكَاً لَمْ يَعْرِضْهَا جِبْرِيلُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

وَالْجَوَابُ أَنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ مِنْ جِنْسِ مَا قَبْلَهَا؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرِ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْقُوَى، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِأَخْذِ نَارِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِضَ رَجُلٌ غَنِيٌّ عَلَى رَجُلٍ فَقِيرٍ قَرْضًا أَوْ هِبَةً، فَيَأْبَى الْفَقِيرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ. فَإِنَّ فَعَلَ جِبْرِيلَ مِنَ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشَّرْكِ؟!



س ٢٦: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الْخَاتِمَةِ.

ج ٢٦: هِيَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ، فَإِنْ فُقِدَ وَاحِدٌ مِنْهَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، وَبَيَّانُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ كَانَ كَافِرًا مُعَانِدًا، كَفِرْعَوْنُ وَإِبْلِيسُ وَأُمَثَالُهُمَا، وَإِنْ عَمِلَ بِهِ ظَاهِرًا وَلَكِنَّهُ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وَعِظُمُ الْعُقُوبَةِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ الْجَرِيمَةِ.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٩ / ١٦)، من حديث معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه موقوفا عليه، وأبو نعيم في الحلية (٢٠ / ١)، من قول مقاتل وسعيد.

س ٢٧: إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ بِالَّذِينَ لِلْمُدَارَاةِ وَهُوَ يَعْرِفُهُ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟

ج ٢٧: لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ لِشَيْءٍ يَعْتَقِدُونَهُ عُذْرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ^(١):

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُسِينًا



س ٢٨: اذْكُرِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْإِسْلَامِ لِلْمُدَارَاةِ يَكُونُ كَافِرًا.

ج ٢٨: دَلَّ عَلَى ذَلِكَ آيَتَانِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:

الأولى قَوْلُهُ: ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] فَإِنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ غَزَوْا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ عَلَى وَجْهِ الْمَزَاحِ وَاللَّعِبِ، فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَهَا أَوْ عَمِلَ بِالْكَفْرِ لِلْمُدَارَاةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؟!

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧].

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠ / ١١١)، وخزانة الأدب (٢ / ٧٦)، وديوان أبي طالب (ص: ٨٧، ١٨٩).

وَدَلَّالَتْهَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِكْرَاهَ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ أَوْ عَمِلَ كُفْرًا لِعَظِيمِ الْإِكْرَاهِ فَإِنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهَا نَصَّتْ عَلَى الْغَرَضِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مَحَبَّةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنَيْلُ شَهَوَاتِهِ وَأَغْرَاضِهِ مِنْهَا، وَلَيْسَ لِبُغْضِ الدِّينِ أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِتَقْدِيمِ دُنْيَاهُ عَلَى دِينِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُدَارَاةَ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ إِذْ أَنَّهُ يَخْشَى إِمَّا مِنْ فَوَاتِ جَاهِهِ وَشَرَفِهِ، وَإِمَّا مِنْ أَخْذِ مَالِهِ، أَوْ ضَرْبِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

كُتِبَ:

مُحَمَّدُ الصَّالِحُ الْعُثَيْمِيُّ

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ

رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامَ ١٣٧٦ هـ.



شرح
الأُصولِ السَّتَّةِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

شَرْحُ الْأُصُولِ السِّتَةِ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّائِنُونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

قَالَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

قَوْلُهُ: «بِسْمِ اللَّهِ»

ابْتَدَأَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كِتَابَهُ بِالْبَسْمَلَةِ؛ اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّهُ مَبْدُوءٌ بِالْبَسْمَلَةِ، وَاقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ كُتُبَهُ وَرِسَائِلَهُ بِالْبَسْمَلَةِ^(١).

وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ مُؤَخَّرٍ مُنَاسِبٍ لِلْمَقَامِ، تَقْدِيرُهُ هُنَا: بِسْمِ اللَّهِ أَكْتُبُ.

(١) كما في كتابه ﷺ إلى هرقل؛ أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب كيف يكتب الكتاب إلى أهل الكتاب، رقم (٦٢٦٠)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَدَّرْنَاهُ فِعْلًا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ.

وَقَدَّرْنَاهُ مُؤَخَّرًا لِفَائِدَتَيْنِ:

الْأُولَى: التَّبَرُّكُ بِالْبَدَاءَةِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

الثَّانِيَةُ: إِفَادَةُ الْحَضَرِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ الْمُتَعَلِّقِ بِهِ يُفِيدُ الْحَضَرَ.

وَقَدَّرْنَاهُ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّهُ أَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ، فَلَوْ قُلْنَا مَثَلًا عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَقْرَأَ كِتَابًا:

«بِسْمِ اللَّهِ نَبْتَدِئُ» مَا يُدْرَى بِمَاذَا نَبْتَدِئُ، لَكِنْ: «بِسْمِ اللَّهِ نَقْرَأُ» أَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ.

قَوْلُهُ: «اللَّهُ».

لَفْظُ الْجَلَالَةِ عَلِمَ عَلَى الْبَارِي جَلَّوَعَلَا وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي تَتَّبِعُهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝﴾ ① اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿[إبراهيم: ١-٢] لَا نَقُولُ: إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» صِفَةٌ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ عَطْفُ بَيَانٍ؛ لِثَلَا يَكُونُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبِيعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَعَرَفُ الْمَعَارِفِ لَفْظُ «اللَّهُ» لِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الرَّحْمَنُ».

الرَّحْمَنُ: اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللَّهِ، لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَمَعْنَاهُ: الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

قَوْلُهُ: «الرَّحِيمُ».

الرَّحِيمُ: اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَى غَيْرِهِ.

وَمَعْنَاهُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ، فَالرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ، فَإِذَا جُمِعَا صَارَ الْمُرَادُ بِالرَّحِيمِ الْمُوَصَّلَ رَحْمَتُهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَنِ الْوَاسِعُ الرَّحْمَةُ.

قَوْلُهُ: «وَمِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَابِ سِتَّةُ أَصُولٍ...» إلخ.

شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَهُ عِنَايَةٌ بِالرَّسَائِلِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي يَفْهَمُهَا الْعَامِيُّ وَطَالِبُ الْعِلْمِ، وَمِنْ هَذِهِ الرِّسَالِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ (سِتَّةُ أَصُولٍ عَظِيمَةٍ) وَهِيَ:

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ وَبَيَانُ ضِدِّهِ وَهُوَ الشِّرْكُ.

الْأَصْلُ الثَّانِي: الْاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ وَالنَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ.

الْأَصْلُ الثَّلَاثُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِرُؤُوسِ الْأَمْرِ.

الْأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفَقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

الْأَصْلُ الْخَامِسُ: بَيَانُ مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ.

الْأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذِهِ الْأَصُولُ أَصُولٌ مُهِمَّةٌ، جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ، وَنَحْنُ نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي شَرْحِهَا وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهَا بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ.



الأصل الأول

إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى، بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنْقِصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللَّهِ فِي صُورَةِ حَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ.

الشرح

قَوْلُهُ: «إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...»

الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ مَعْنَاهُ: «أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّوَصُّلَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ» بِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي قَصْدِهِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي مَحَبَّتِهِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي تَعْظِيمِهِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَبْتَغِي بِعِبَادَتِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُونَا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ﴾ [الزمر: ٥٤] وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وَقَوْلُهُ: ﴿فَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ فَلَهُ: أَسْلِمُوا﴾ [الحج: ٣٤] وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الرُّسُلِ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿[الأنبياء: ٢٥].

وَكَمَا وَضَحَ اللهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «مِنْ وَجْهِ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَهْلُ الدِّعْوَةِ» فَقَدْ وَضَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَدْ جَاءَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِهِ وَتَحْلِيصِهِ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، وَسَدَّ كُلَّ طَرِيقٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَلَ إِلَى ثَلَمِ هَذَا التَّوْحِيدِ أَوْ إِضْعَافِهِ، حَتَّى إِنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»^(١) فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يُفَرِّقَ مَشِئَتَهُ بِمَشِئَةِ اللهِ تَعَالَى بِحَرْفٍ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ اتِّخَاذِ النَّدِّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ الْحِلْفَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٢) وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحِلْفَ بِغَيْرِ اللهِ تَعْظِيمٌ لِلْمَحْلُوفِ بِهِ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَحِينَمَا قَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا» قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٥)، وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم (٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في كراهية التماذج، رقم (٤٨٠٦)، من حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَدْ عَقَدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ بَابًا فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ؛ فَقَالَ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشَّرْكِ»^(١).

وَكَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْإِخْلَاصَ وَأَظْهَرَهُ بَيِّنَ ضِدِّهِ وَهُوَ الشَّرْكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ^(٢).

وَالشَّرْكَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَهُوَ: «كُلُّ شِرْكٍ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ وَهُوَ مُتَنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ مُنَافَاةً مُطْلَقَةً» مِثْلُ أَنْ يَصْرِفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، بِأَنْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يُنْدِرَ لِغَيْرِ اللَّهِ. أَوْ أَنْ يَدْعُوَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، مِثْلُ أَنْ يَدْعُوَ صَاحِبَ قَبْرِ، أَوْ يَدْعُوَ غَائِبًا لِإِنْقَاذِهِ مِنْ أَمْرٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاضِرُ. وَأَنْوَاعُ الشَّرْكِ مَعْلُومَةٌ فِيمَا كَتَبَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ «كُلُّ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ وَصَفَ الشَّرْكَ، لَكِنَّهُ لَا يُنَافِي التَّوْحِيدَ مُنَافَاةً مُطْلَقَةً» مِثْلُ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَالْحَالِفُ

(١) كتاب التوحيد (ص: ٦٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، رقم (٩٣).

بِغَيْرِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ لِعَظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَظَمَةِ مَا يُمِثِّلُ عَظَمَةَ اللَّهِ مُشْرِكٌ شَرِكًا أَصْغَرَ. وَمِثْلُ الرِّيَاءِ، وَهُوَ خَطِيرٌ، قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ». فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»^(١) وَقَدْ يَصِلُ الرِّيَاءُ إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

وَقَدْ مَثَّلَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلشِّرْكِ الْأَصْغَرِ بَيْسِيرَ الرِّيَاءِ^(٢)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَثِيرَ الرِّيَاءِ قَدْ يَصِلُ إِلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] يَشْمَلُ كُلَّ شِرْكِ، وَلَوْ كَانَ أَصْغَرَ.

فَالْوَاجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الشِّرْكِ مُطْلَقًا، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] فَإِذَا حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى الْمُشْرِكِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ خَالِدًا فِي النَّارِ أَبَدًا، فَالْمُشْرِكُ بِاللَّهِ تَعَالَى قَدْ خَسِرَ الْآخِرَةَ لَا رَيْبَ؛ لِأَنَّهُ فِي النَّارِ خَالِدًا، وَخَسِرَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَجَاءَهُ النَّذِيرُ، وَلَكِنَّهُ خَسِرَ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] فَخَسِرَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْهَا شَيْئًا، وَأُورِدَهَا النَّارَ وَبُئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ. وَخَسِرَ أَهْلَهُ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَتَمَتَّعُ بِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي النَّارِ فَكَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّرْكَ خَفِيٌّ جِدًّا، وَقَدْ خَافَهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ وَإِمَامُ الْخُفَاءِ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٢٩)، من حديث محمود بن لبيد رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٣٥٢)، وإغاثة اللهفان (١/٥٩).

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «وَأَمْنَعْنِي» لِأَنَّ مَعْنَى «أَجْنُبْنِي» أَيِ اجْعَلْنِي فِي جَانِبِ عِبَادَةِ وَالْأَصْنَامِ فِي جَانِبٍ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ «أَمْنَعْنِي» لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي جَانِبٍ وَهِيَ فِي جَانِبٍ، كَانَ أَبْعَدَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»^(١) وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِحَدِيفَةِ بْنِ الْيَمَانِ: «أَنْشُدْكَ اللَّهَ هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ مَنْ سَمَّى مِنَ الْمُنَافِقِينَ»^(٢) مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَشَرُهُ بِالْجَنَّةِ^(٣)، وَلَكِنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِمَا ظَهَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَفْعَالِهِ فِي حَيَاتِهِ، فَلَا يَأْمَنُ النِّفَاقَ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَلَا يَخَافُ النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخْرِصَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا جَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ مَا جَاهَدْتُهَا عَلَى الْإِخْلَاصِ» فَالشَّرْكُ أَمْرُهُ صَعْبٌ جِدًّا، لَيْسَ بِأَهْيَنَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُيسِّرُ الْإِخْلَاصَ عَلَى الْعَبْدِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، فَيَقْصِدَ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ.



(١) علقه البخاري جزئاً: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (١٨/١).

(٢) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة، رقم (٣٨٥٤٥)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/٧٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/١٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٩)، والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، رقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه: في المقدمة، باب فضائل العشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (١٣٣)، من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأصل الثاني

أَمَرَ اللَّهُ بِالْاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللَّهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، وَمَهَانًا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَزَيَّدَهُ وَضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْإِفْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الْاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زَنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

الشرح

قَوْلُهُ: «أَمَرَ اللَّهُ بِالْاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ..» إلخ.

الأصل الثاني من الأصول التي ساقها الشيخ رحمه الله الاجتماع في الدين، والنهي عن التفريق فيه، وهذا الأصل العظيم قد دلَّ عليه كتاب الله تعالى، وسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وعَمَلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى:

أَمَّا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿

[آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ التَّفَرُّقِ، وَبَيَّنَّ عَوَاقِبُهُ الْوَحِيمَةَ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا.

وَأَمَّا دَلَالَةُ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ: فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقُرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ - بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٣)،

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم (٦٠٦٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم (٢٥٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (٤٨١)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ ﷺ لِأَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَذُكُّكَ عَلَى نَجَارَةٍ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «تَسْعَى فِي الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»^(١).

وَفِي مُقَابَلَةِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّحَابِّ وَالتَّأَلُّفِ وَحُبِّهِ الْخَيْرِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُقْوِي ذَلِكَ وَتُنْمِيهِ - فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ تَفَرُّقَ الْمُسْلِمِينَ وَتَبَاعُدَهُمْ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِي التَّفَرُّقِ وَالبَغْضَاءِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ، فَالتَّفَرُّقُ هُوَ قُرَّةُ عَيْنِ شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِأَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ لَا يَوَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى شَيْءٍ، فَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّفَرُّقَ تَفُتَّتْ لِلْقُوَّةِ الَّتِي مُحْصُلُهَا بِالْإِلْتِرَامِ وَالِاتِّجَاهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَثَّ عَلَى التَّأَلُّفِ وَالتَّحَابِّ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى تَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ وَذَهَابِ الرِّيحِ.

وَأَمَّا عَمَلُ الصَّحَابَةِ: فَقَدْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْإِخْتِلَافُ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ التَّفَرُّقُ وَلَا الْعَدَاوَةُ وَلَا الْبَغْضَاءُ، فَقَدْ حَصَلَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَجَاءَهُ جَبْرِيلُ بِأَمْرِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِنَقْضِهِمُ الْعَهْدَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»^(٢) فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ

(١) أخرجه الطيالسي، رقم (٥٩٩)، وابن أبي الدنيا في مداراة الناس، رقم (١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإياء، رقم (٩٤٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين، رقم (١٧٧٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَحَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَلَوْ غَابَتِ الشَّمْسُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَتَقُولُ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: نُصَلِّي فِي الْوَقْتِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ بِذَلِكَ الْمُبَادَرَةَ وَالْإِسْرَاعَ إِلَى الْخُرُوجِ، وَلَمْ يَرِدْ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يُعَنْفَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَمْ يُؤَيِّخْهُ عَلَى مَا فِيهِمْ. وَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا مِنْ أَجْلِ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ فِي فَهْمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا عَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: فَإِنَّ مِنْ أَصُولِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ أَنَّ مَا كَانَ الْخِلَافُ فِيهِ صَادِرًا عَنْ اجْتِهَادٍ، وَكَانَ مِمَّا يَسُوعُ فِيهِ الْاجْتِهَادُ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَعْذَرُ بَعْضًا بِالْخِلَافِ، وَلَا يَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَقْدًا، وَلَا عَدَاوَةً، وَلَا بَغْضَاءً، بَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ إِخْوَةٌ، حَتَّى وَإِنْ حَصَلَ بَيْنَهُمْ هَذَا الْخِلَافُ، حَتَّى إِنْ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيُصَلِّيَ خَلْفَ مَنْ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى وُضوءٍ، وَيَرَى الْإِمَامُ أَنَّهُ عَلَى وُضوءٍ، مِثْلَ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ شَخْصٍ أَكَلَ لَحْمَ إِبِلٍ وَهَذَا الْإِمَامُ يَرَى أَنَّهُ لَا يَنْقُضُ الْوُضوءَ، وَالْمَأْمُومُ يَرَى أَنَّهُ يَنْقُضُ الْوُضوءَ، فَيَرَى أَنَّ الصَّلَاةَ خَلْفَ ذَلِكَ الْإِمَامِ صَحِيحَةٌ، وَإِنْ كَانَ هُوَ لَوْ صَلَّاهَا بِنَفْسِهِ لَرَأَى أَنَّ صَلَاتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ. كُلُّ هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْخِلَافَ النَّاشِئَ عَنْ اجْتِهَادٍ فِيمَا يَسُوعُ فِيهِ الْاجْتِهَادُ لَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ قَدْ تَبَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُهُ مِنَ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَجُوزُ لَهُ الْعُدُولُ عَنْهُ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ أَخَاهُمْ إِذَا خَالَفَهُمْ فِي عَمَلٍ مَا اتَّبَاعًا لِلدَّلِيلِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ وَاظَمَهُمْ؛

لَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى اتِّبَاعِ الدَّلِيلِ أَيْنَمَا كَانَ، فَإِذَا خَالَفَهُمْ مُوَافَقَةً لِدَلِيلٍ عِنْدَهُ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ وَافَقَهُمْ؛ لِأَنَّهُ تَمَشَّى عَلَى مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَهْدُونَ إِلَيْهِ مِنْ تَحْكِيمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا مَا لَا يَسُوعُ فِيهِ الْخِلَافُ فَهُوَ مَا كَانَ مُحَالِفًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، كَمَسَائِلِ الْعَقَائِدِ الَّتِي ضَلَّ فِيهَا مَنْ ضَلَّ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَحْضَلْ فِيهَا الْخِلَافُ إِلَّا بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ - أَيْ لَمْ يَنْتَشِرِ الْخِلَافُ إِلَّا بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفْضَلَةِ - وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْخِلَافِ فِيهَا مَوْجُودًا فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ لِيُعْلَمَ أَنَّنَا إِذَا قُلْنَا: «قَرْنُ الصَّحَابَةِ» لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ كُلُّ الصَّحَابَةِ، بَلِ الْقَرْنُ مَا وُجِدَ فِيهِ مُعْظَمُ أَهْلِهِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْقَرْنَ يُحْكَمُ بِانْقِصَائِهِ إِذَا انْقَرَضَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ»^(١).

فَالْقُرُونُ الْمُفْضَلَةُ انْقَرَضَتْ، وَلَمْ يُوجَدْ فِيهَا هَذَا الْخِلَافُ الَّذِي انْتَشَرَ بَعْدَهُمْ فِي الْعَقَائِدِ، فَمَنْ خَالَفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ وَلَا يُقْبَلُ خِلَافُهُ.

أَمَّا الْمَسَائِلُ الَّتِي وُجِدَ فِيهَا الْخِلَافُ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ فِيهَا مَسَاحٌ لِاجْتِهَادٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخِلَافُ فِيهَا بَاقِيًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(٢) فَهَذَا هُوَ الضَّابِطُ.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنْ لَا يَحْصَلَ بَيْنَهُمْ تَفَرُّقٌ وَتَحَزُّبٌ، بِحَيْثُ يَتَنَاحَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَسِنَّةِ الْأَلْسِنِ، وَيَتَعَادَوْنَ وَيَتَبَاغَضُونَ مِنْ أَجْلِ اخْتِلَافٍ يَسُوعُ فِيهِ الْاجْتِهَادُ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِيمَا تَقْتَضِيهِ النُّصُوصُ حَسَبَ أَفْهَامِهِمْ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ فِيهِ سَعَةٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَالْمِهْمُ اثْتِلَافُ الْقُلُوبِ وَاتِّحَادُ الْكَلِمَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ يُحِبُّونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا، سَوَاءٌ كَانُوا أَعْدَاءً يُصَرِّحُونَ بِالْعَدَاوَةِ، أَوْ أَعْدَاءً يَتَظَاهَرُونَ بِالْوِلَايَةِ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ لِلْإِسْلَامِ، وَهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ.



الأصل الثالث

إِنْ مِنْ تَمَامِ الإِجْتِمَاعِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِمَنْ تَأْمَرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا،
فَبَيَّنَ اللَّهُ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا كَافِيًا بِوُجُوهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا
الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

الشرح

قَوْلُهُ: «إِنْ مِنْ تَمَامِ الإِجْتِمَاعِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ...» إلخ.
ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّ مِنْ تَمَامِ الإِجْتِمَاعِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوَلَاةِ الْأَمْرِ
بِامْتِثَالِ مَا أَمَرُوا بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَوْا عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ مَنْ تَأْمَرَ عَلَيْنَا عَبْدًا حَبَشِيًّا.
قَوْلُهُ: «فَبَيَّنَ اللَّهُ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا كَافِيًا...» إلخ.

أَمَّا بَيَانُهُ شَرْعًا: فَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَمِنْ بَيَانِهِ فِي كِتَابِ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]
الآيَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنفَشِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
[آل عمران: ١٠٣].

وَمِنْ بَيَانِهِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ
ابْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا
وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا

كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»^(١).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيُضِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شُبْرًا فَمَاتَ فَمِيتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(٢)، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنَ الطَّاعَةِ لِقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ»^(٣)، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ»^(٤)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَنَحْيٌ فِتْنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، نَحْيٌ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمروا تنكرونها، رقم (٧٠٥٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم (١٧٠٩)، من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم (١٨٤٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم (١٨٥١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (١٨٣٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَنَجِيءُ الْفِتْنَةِ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلَنَأْتِيَهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفَقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَهُ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ^(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَمَّا بَيَانُهُ قَدْرًا: فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى حَالُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حِينَ كَانَتْ مُتَمَسِّكَةً بِدِينِهَا، مُجْتَمِعَةً عَلَيْهِ، مُعَظَّمَةً لِرُؤَاةِ أُمُورِهَا، مُتَقَادَةً لَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، كَانَتْ لَهَا السِّيَادَةُ وَالظُّهُورُ فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ⑩ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠-٤١].

وَلَمَّا أَحْدَثَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَا أَحْدَثَتْ، وَفَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى أَيْمَتِهِمْ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا شَيْعًا -نَزَعَتِ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ، وَتَنَازَعُوا، فَفَشَلُوا، وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ، وَصَارُوا غَنَاءَ كَغَنَاءِ السَّيْلِ.

وَصَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَالْغَيْرَةَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَتُرِكَ الْعَمَلُ بِهِ، وَرَأَى كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الرَّعِيَّةِ نَفْسَهُ أَمِيرًا أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيرِ الْمُتَابِذِ لِلْأَمِيرِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم (١٨٤٤).

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا - رُعَاةً وَرَعِيَّةً - أَنْ نَقُومَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ التَّحَابِّ
وَالْتَعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالْإِجْتِمَاعِ عَلَى الْمَصَالِحِ لِنَكُونَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَعَلَيْنَا أَنْ
نَجْمَعَ عَلَى الْحَقِّ وَنَتَعَاوَنَ عَلَيْهِ، وَأَنْ نُخْلِصَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ نَسْعَى لِهَدَفٍ
وَاحِدٍ هُوَ إِصْلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِصْلَاحًا دِينِيًّا وَدُنْيَوِيًّا بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُ، وَلَنْ يُمَكِّنَ ذَلِكَ
حَتَّى تَتَفَقَّ كَلِمَتُنَا وَنَتْرُكَ الْمُنَارِعَاتِ بَيْنَنَا، وَالْمُعَارَضَاتِ الَّتِي لَا تُحَقِّقُ هَدَفًا، بَلْ رَبُّمَا
تُفَوَّتْ مَقْصُودًا، وَتُعَدِمُ مَوْجُودًا.

إِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَفَرَّقَتْ، وَالرَّعِيَّةُ إِذَا تَمَرَّدَتْ، دَخَلَتِ الْأَهْوَاءُ وَالضَّغَائِنُ، وَصَارَ
كُلُّ وَاحِدٍ يَسْعَى لِنَتْفِيدِ كَلِمَتِهِ وَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي خِلَافِهَا، وَخَرَجْنَا عَنْ
تَوْجِيهَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿[آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فَإِذَا عَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ وَقَامَ بِهِ عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْعَامَّةَ
وَالْخَاصَّةَ تَسِيرُ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ وَأَكْمَلِهِ.



الأصل الرابع

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

وَيَزِيدُهُ وَضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدْعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَقَوَّهُ بِهِ إِلَّا زَنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيهَ الْعَالِمَ.

الشرح

قَوْلُهُ: «بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ...» إلخ.

الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ ^(١) هُنَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ: «عِلْمٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى» وَالْعِلْمُ الَّذِي فِيهِ الْمَدْحُ وَالثَّنَاءُ هُوَ عِلْمُ الشَّرْعِ، عِلْمٌ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْتَبِ﴾ [الزمر: ٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ

(١) انظر في هذا الكتاب الفذ لشيخنا: كتاب العلم.

خَيْرًا يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ»^(١)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ»^(٢) وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الَّذِي وَرَثَهُ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا هُوَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ، وَمَعَ هَذَا فَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ لِلْعُلُومِ الْأُخْرَى فَائِدَةٌ، وَلَكِنَّهَا فَائِدَةٌ ذَاتُ حَدِّينِ: إِنْ أَعَانَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَلَى نَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَانْتَفَعَ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ كَانَتْ خَيْرًا وَمُصْلَحَةً، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ تَعَلَّمَ الصَّنَاعَاتِ فَرَضُ كِفَايَةٍ، وَهَذَا مُحَلٌّ نَظَرٍ وَنَزَاعٍ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْعِلْمُ الَّذِي وَرَدَ الثَّنَاءُ فِيهِ وَعَلَى طَالِبِيهِ هُوَ فَقَهُ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ وَسِيلَةً إِلَى خَيْرٍ فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ وَسِيلَةً إِلَى شَرٍّ فَهُوَ شَرٌّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِهَذَا وَهَذَا فَهُوَ ضَيَاعٌ وَقْتٍ وَلَعُؤٌ.

وَالْعِلْمُ لَهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي الْآخِرَةِ وَفِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُمْ دَرَجَاتٍ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا عَلِمُوا، وَفِي الدُّنْيَا يَرْفَعُهُمُ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، وأبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٢)، وأبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤١)، وابن ماجه، في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِرْثُ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ».

وَمِنْهَا: أَنَّهُ مِمَّا يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ»^(١).

وَمِنْهَا: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرْغَبْ أَحَدًا أَنْ يَغْبِطَ أَحَدًا عَلَى شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ إِلَّا عَلَى نِعْمَتَيْنِ هُمَا:

١ - طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

٢ - الْغِنَى الَّذِي جَعَلَ مَالَهُ خِدْمَةً لِلْإِسْلَامِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(٢).

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ الْعَبْدُ، فَيَعْرِفُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَكَيْفَ يُعَامِلُ غَيْرَهُ، فَتَكُونُ مَسِيرَتُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَالِمَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَلَا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ رَجُلًا عَابِدًا: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَكَأَنَّ الْعَابِدَ اسْتَعْظَمَ الْأَمْرَ، فَقَالَ: «لَا» فَقَتَلَهُ السَّائِلُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم (٨١٦).

فَأَتَمَّ بِهِ الْمِئَّةَ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى عَالِمٍ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَهُ تَوْبَةً، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، ثُمَّ دَلَّهَ عَلَى بَلَدٍ أَهْلُهُ صَالِحُونَ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِ فَخَرَجَ، فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ^(١). فَاَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ.

إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَنْ هُمُ الْعُلَمَاءُ حَقًّا، هُمُ الرَّبَّانِيُّونَ، الَّذِينَ يُرْبُونُ النَّاسَ عَلَى شَرِيعَةِ رَبِّهِمْ حَتَّى يَتَمَيَّزَ هَؤُلَاءِ الرَّبَّانِيُّونَ عَمَّنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، يَتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي الْمَظْهَرِ وَالْمَنْظَرِ وَالْمَقَالِ وَالْفِعَالِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ فِي النَّصِيحَةِ لِلخَلْقِ، وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، فَيُخَيَّرُ مَا عِنْدَهُ أَنْ يُلَبَّسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَيَصُوغَهُ بِعِبَارَاتٍ مُزْخَرَفَةٍ، يُحَسِّبُهُ الظُّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، بَلْ هُوَ الْبِدْعُ وَالضَّلَالَاتُ الَّتِي يَظُنُّهَا بَعْضُ النَّاسِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، وَأَنْ مَا سِوَاهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زَنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

هَذَا مَعْنَى كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَيْمَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُضِلِّينَ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِمَا هُمْ بِرَبِيتُونَ مِنْهُ؛ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْاِخْتِادِ مِنْهُمْ، وَهَذَا إِرْثُ الَّذِينَ طَعَنُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَوَصَّوُا بِهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].



(١) أخرجها البخاري: كتاب الأنبياء، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٢٧٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأصل الخامس

بَيَّانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَتَقْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الْآيَةُ. وَآيَةٌ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] الْآيَةُ. وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَاطِ الشَّرْعِ إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيْسَ مِنْهُمْ. يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الشرح

قَوْلُهُ: «بَيَّانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ...» إلخ.

أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَاتَّقَوْهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى دِينِهِ وَهُمْ مَنْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدَّعِي الْوِلَايَةَ يَكُونُ وَلِيًّا،

وَالْأَلَا لَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَدْعِيهَا، وَلَكِنْ يُوزَنُ هَذَا الْمُدْعَى لِلْوِلَايَةِ بِعَمَلِهِ، إِنْ كَانَ عَمَلُهُ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى فَإِنَّهُ وَلِيٌّ، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِوَلِيٍّ، وَفِي دَعْوَاهُ الْوِلَايَةِ تَرْكِيبٌ لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ يُنَافِي تَقْوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

فَإِذَا ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَقَدْ زَكَّى نَفْسَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ وَاقِعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَفِيمَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا يُنَافِي التَّقْوَى، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَإِنَّمَا هُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَتَّقُونَهُ، وَيَقُومُونَ بِطَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَلَا يَغُرُّونَ النَّاسَ وَيَحْدَعُونَهُمْ بِهَذِهِ الدَّعْوَى حَتَّى يُضِلُّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحْيَانًا أَسْيَادًا، وَأَحْيَانًا أَوْلِيَاءَ لَوْ تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَوَجَدَهُمْ أَبْعَدَ مَا يَكُونُونَ عَنِ الْوِلَايَةِ وَالسِّيَادَةِ.

فَنَصِيحَتِي لِأَخَوَانِي الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يَغْتَرُّوا بِمُدَّعَى الْوِلَايَةِ، حَتَّى يَقِيسُوا حَالَهُ بِمَا جَاءَ فِي النُّصُوصِ فِي أَوْصَافِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى عَلَامَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَوِلَايَتِهِ بِمَا سَاقَهُ مِنَ الْآيَاتِ:

الآيَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وَهَذِهِ الْآيَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمِحْنَةِ - أَيْ الْإِمْتِحَانِ - حَيْثُ ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

فَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى نَظَرْنَا فِي عَمَلِهِ فَإِنْ كَانَ مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ صَادِقٌ، وَإِلَّا فَهُوَ كَاذِبٌ.

الآية الثانية: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] الْآيَتَيْنِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَوْصَافٍ هِيَ عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَاتُهَا:

الْوَصْفُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يُحَارِبُونَهُمْ، وَلَا يَقْتُلُونَ ضِدَّهُمْ، وَلَا يُنَابِذُونَهُمْ.

الْوَصْفُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَيْ أَقْوِيَاءٌ عَلَيْهِمْ، غَالِبُونَ لَهُمْ.

الْوَصْفُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ يَبْذُلُونَ الْجُهْدَ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

الْوَصْفُ الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً. أَيْ: إِذَا لَامَهُمْ أَحَدٌ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ لَمْ يَخَافُوا لَوْمَتَهُ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَامِ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

الآية الثالثة: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي يُونُسَ: ﴿إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَوْلِيَائِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣] فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَائِ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهِذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ: الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى، فَالْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالتَّقْوَى بِالْجَوَارِحِ، فَمَنْ ادَّعَى الْوِلَايَةَ وَلَمْ يَتَّصِفْ بِهِذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ فَهُوَ كَاذِبٌ.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَّنَّ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ عَلَى الْعَكْسِ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ، وَحِفَاطِ الشَّرْعِ، فَالْوَلِيُّ عِنْدَهُ مَنْ لَا يَتَّبِعُ الرُّسُلَ، وَلَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا يَتَّقِيهِ.

وَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُنْقَلَ هُنَا مَا كَتَبَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي رِسَالَتِهِ: (الْفُرْقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ) وَنَسُوقُ مَا تيسَّرَ مِنْهَا:

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ أَوْلِيَاءَ مِنَ النَّاسِ، وَلِلشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ، فَفَرَّقَ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وَذَكَرَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

فَيَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَمَا فَرَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بَيْنَهُمَا، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ... وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَوَالَوْهُ، فَأَحَبُّوا مَا يُحِبُّ، وَأَبْغَضُوا مَا يُبْغِضُ، وَرَضُوا بِمَا يَرْضَى، وَسَخَطُوا بِمَا يَسْخَطُ، وَأَمَرُوا بِمَا يَأْمُرُ، وَنَهَوْا عَمَّا نَهَى، وَأَعْطَوْا مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعْطَى، وَمَنْعُوا مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُمْنَعَ، فَلَا يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّهِ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَوَلَايَتَهُ وَهُوَ لَمْ يَتَّبِعْهُ -أَيُّ الرَّسُولِ- فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، بَلْ مَنْ خَالَفَهُ كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] (١).

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٤-١٢).

فَالنَّاسُ مُتَفَاضِلُونَ فِي وَلَايَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وَكَذَلِكَ يَتَفَاضِلُونَ فِي عَدَاوَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ... وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ: سَابِقُونَ مُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ يَمِينٍ مُقْتَصِدُونَ، ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَآخِرِهَا، وَفِي الْإِنْسَانِ، وَالْمُطَفِّفِينَ، وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ... (١).

وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ إِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ (٢).

فَمَنْ لَمْ يَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلْ الْحَسَنَاتِ وَلَا يَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ، لَا سِيَّمَا أَنْ تَكُونَ مُحَاجَّةً عَلَى ذَلِكَ إِمَّا مُكَاشَفَةً سَمِعَهَا مِنْهُ، أَوْ نَوْعًا مِنْ تَصَرُّفٍ... فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ عَلَى كَوْنِ الشَّخْصِ وَلِيًّا لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ مَا يَنْقُضُ وَلَايَةَ اللَّهِ، فَكَيْفَ إِذَا عِلِمَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ وَلَايَةَ اللَّهِ؟! مِثْلُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ وَجُوبَ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ الشَّرْعَ الظَّاهِرَ دُونَ الْحَقِيقَةِ الْبَاطِنَةِ، أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ غَيْرَ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ... فَعَلَى هَذَا فَمَنْ أَظْهَرَ الْوَلَايَةَ وَهُوَ لَا يُؤَدِّي الْفَرَائِضَ وَلَا يَحْتَنِبُ الْمَحَارِمَ بَلْ قَدْ يَأْتِي بِمَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ... وَلَيْسَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ شَيْءٌ يَتَمَيَّزُونَ بِهِ عَنِ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ... (٣)

(١) الفرقان (ص: ٢٨-٢٩).

(٢) الفرقان (ص: ٤٣-٤٤).

(٣) الفرقان (ص: ٤٧-٥١).

وَلَيْسَ مِنْ شَرْطٍ وَلِيَّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا لَا يَغْلَطُ وَلَا يَخْطِئُ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ بَعْضُ أُمُورِ الدِّينِ...^(١)؛ وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ وَلِيُّ اللَّهِ يَجُوزُ أَنْ يَغْلَطَ لَمْ يَجِبْ عَلَى النَّاسِ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يَقُولُهُ مَنْ هُوَ وَلِيُّ اللَّهِ لِئَلَّا يَكُونَ نَبِيًّا... بَلْ يَجِبُ أَنْ يَعْرِضَ ذَلِكَ جَمِيعُهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنْ وَافَقَهُ قَبْلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ لَمْ يَقْبَلْهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أُمُوفَاقُ هُوَ أَمْ مُخَالَفٌ، تَوَقَّفَ فِيهِ.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: طَرَفَانِ وَوَسْطٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا اعْتَقَدَ فِي شَخْصٍ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ وَافَقَهُ فِي كُلِّ مَا يَطُنُّ أَنَّهُ حَدَّثَ بِهِ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَسَلَّمْ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا رَأَاهُ قَالَ أَوْ فَعَلَ مَا لَيْسَ بِمُوَافِقٍ لِلشَّرْعِ أَخْرَجَهُ عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا.

وَخِيَارُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا: هُوَ أَنْ لَا يُجْعَلَ مَعْصُومًا وَلَا مَأْثُومًا إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا، فَلَا يَتَّبَعُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ وَالْفِسْقِ مَعَ اجْتِهَادِهِ، وَالْوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ...^(٢).

وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثَمَتُهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا مِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَا أَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ يَجِبُ لَهُمُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ

(١) الفرقان (ص: ٦٢-٦٣).

(٢) الفرقان (ص: ٦٥).

فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ، بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ، فَإِنَّهُمْ لَا تَحِبُّ طَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ، وَلَا الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ، بَلْ يُعَرِّضُ أَمْرَهُمْ وَخَبَرَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَكَانَ مُجْتَهِدًا مَعْدُورًا فِيمَا قَالَهُ، لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ، لَكِنَّهُ إِذَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مُحْطِئًا، وَكَانَ مِنَ الْخَطَا الْمَغْفُورِ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ قَدْ اتَّقَى اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ...^(١)

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَحِبُّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتَصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ -وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يَسُوءُ لَهُ أَوْ لغيرِهِ اتِّبَاعُ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ-، هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَمَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِمْ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْرِطًا فِي الْجَهْلِ... وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَغْلُطُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَيَظُنُّ فِي شَخْصٍ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ، وَيَظُنُّ أَنَّ وَلِيَّ اللَّهِ يَقْبَلُ مِنْهُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ وَإِنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ لَهُ، وَيُخَالَفُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ تَصَدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَجَعَلَهُ الْفَارِقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَبَيْنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَجُنْدِهِ الْمُفْلِحِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُ كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْخَاسِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَتَجَرَّهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ وَمَوَافَقَةُ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوَّلًا إِلَى الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ، وَآخِرًا إِلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ...^(٢)

(١) الفرقان (ص: ٧١-٧٢).

(٢) الفرقان (ص: ٧٣-٧٥).

وَنَجِدُ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ عُمَدَتِهِمْ فِي اعْتِقَادِهِ كَوْنَهُ وَلِيًّا لِلَّهِ أَنَّهُ قَدْ صَدَرَ عَنْهُ مُكَاشَفَةٌ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، أَوْ بَعْضِ التَّصَرُّفَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ... وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا وَلِيُّ اللَّهِ، بَلْ قَدْ اتَّفَقَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ لَمْ يُغْتَرَبْ بِهِ حَتَّى يُنْظَرَ مُتَابَعَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُوَافَقَتَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ...

وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا وَلِيًّا لِلَّهِ فَقَدْ يَكُونُ عَدُوًّا لِلَّهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْخَوَارِقَ تَكُونُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَتَكُونُ لِأَهْلِ الْبِدْعِ، وَتَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ، بَلْ يُعْتَبَرُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَيَعْرِفُونَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ...^(١)

وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا وَسَائِرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ عِبَادَهُ السُّعْدَاءَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ «أَرْبَعَ مَرَاتِبَ» فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]...^(٢)

وَلَهُمُ الْكَرَامَاتُ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ، وَخِيَارُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَرَامَاتُهُمْ لِحُجَّةٍ فِي الدِّينِ أَوْ لِحَاجَةٍ بِالْمُسْلِمِينَ، كَمَا كَانَتْ مُعْجَزَاتُ نَبِيِّهِمْ ﷺ كَذَلِكَ.

(١) الفرقان (ص: ٧٨-٧٩).

(٢) الفرقان (ص: ٨٩).

وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِبَرَكَهٖ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَدْخُلُ فِي مُعْجَزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ... (١)

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الْكَرَامَاتِ قَدْ تَكُونُ بِحَسَبِ حَاجَةِ الرَّجُلِ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَيْهَا لِضَعْفِ الْإِيمَانِ، أَوْ الْمُحْتَاجِ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يُقْوِي إِيمَانَهُ وَيَسُدُّ حَاجَتَهُ، وَيَكُونُ مَنْ هُوَ أَكْمَلُ وَلَايَةٍ لِلَّهِ مِنْهُ مُسْتَعِينًا عَنْ ذَلِكَ، فَلَا يَأْتِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ؛ لِعُلُوِّ دَرَجَتِهِ، وَغِنَاهُ عَنْهَا، لَا لِنَقْصِ وَلَايَتِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ فِي التَّابِعِينَ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الصَّحَابَةِ. بِخِلَافِ مَنْ يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ لِهَدْيِ الْخَلْقِ وَلِحَاجَتِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ دَرَجَةً... (٢).

وَالنَّاسُ فِي خَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ يُكَذِّبُ بِوُجُودِ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَرُبَّمَا صَدَّقَ بِهِ مُجْمَلًا، وَكَذَّبَ مَا يُذَكِّرُهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ؛ لِكَوْنِهِ عِنْدَهُ لَيْسَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ نَوْعٌ مِنْ خَرَقِ الْعَادَةِ كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ. وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ خَطَأٌ... وَلِهَذَا نَحْدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ أَنَّ لِلْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ نُصَرَاءَ يُعِينُونَهُمْ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ يُكَذِّبُونَ أَنَّ يَكُونُ مَعَهُمْ مَنْ لَهُ خَرَقُ عَادَةٍ. وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّ مَعَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ لَا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ (٣).

وَفِيمَا نُقِلَ كِفَايَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى الْأَصْلِ. وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

(١) الفرقان (ص: ١٥٤-١٥٥).

(٢) الفرقان (ص: ١٦٦).

(٣) الفرقان (ص: ١٨١-١٨٢).

الأصل السادس

رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ، وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوْ صَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرَضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زَنَدِيقٌ وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا. فَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلَقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ وَجْهِهِ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْآذِقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ [يس: ٧-١١].

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الشرح

قَوْلُهُ: «رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ...» إلخ.

الاجْتِهَادُ لُغَةً: بَذُلَ الْجُهْدُ لِإِذْرَاكِ أَمْرٍ شَاقٍّ.
وَأَصْطِلَاحًا: بَذُلَ الْجُهْدُ لِإِذْرَاكِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ.
وَالِاجْتِهَادُ لَهُ شُرُوطٌ، مِنْهَا:

١ - أَنْ يَعْلَمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اجْتِهَادِهِ، كَأَيَاتِ الْأَحْكَامِ وَأَحَادِيثِهَا.

٢ - أَنْ يَعْرِفَ مَا يَتَعَلَّقُ بِصَحَّةِ الْحَدِيثِ وَضَعْفِهِ كَمَعْرِفَةِ الْإِسْنَادِ وَرِجَالِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٣ - أَنْ يَعْرِفَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ، وَمَوَاقِعَ الْإِجْمَاعِ؛ حَتَّى لَا يَحْكُمَ بِمَنْسُوخٍ أَوْ مُخَالَفٍ لِلِإِجْمَاعِ.

٤ - أَنْ يَعْرِفَ مِنَ الْأَدِلَّةِ مَا يَخْتَلِفُ بِهِ الْحُكْمُ مِنْ تَخْصِيصٍ أَوْ تَقْيِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ؛ حَتَّى لَا يَحْكُمَ بِمَا يَخَالَفُ ذَلِكَ.

٥ - أَنْ يَعْرِفَ مِنَ اللُّغَةِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِدَلَالَاتِ الْأَلْفَاظِ كَالْعَامِّ وَالْخَاصِّ، وَالْمُطْلَقِ وَالْمُقَيَّدِ، وَالْمُجْمَلِ وَالْمُبَيَّنِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِيَحْكُمَ بِمَا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الدَّلَالَاتُ.

٦ - أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنْ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ مِنْ أَدِلَّتِهَا.
وَالِاجْتِهَادُ يَتَجَزَّأُ، فَيَكُونُ فِي بَابٍ وَاحِدٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ، أَوْ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِهِ. وَالْمِهْمُ أَنَّ الْمُجْتَهِدَ يَلْزُمُهُ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ ثُمَّ يَحْكُمَ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ، فَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَأَجْرٌ عَلَى إِصَابَةِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ فِي إِصَابَةِ

الْحَقُّ إِظْهَارًا لَهُ وَعَمَلًا بِهِ. وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ الْحُكْمُ وَجَبَ عَلَيْهِ التَّوَقُّفُ، وَجَازَ التَّقْلِيدُ حِينَئِذٍ لِلضَّرُورَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ التَّقْلِيدَ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، فَإِذَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَخْرِجَ الدَّلِيلَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ التَّقْلِيدُ».

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ^(٢):

وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ
مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ
وَالتَّقْلِيدُ يَكُونُ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْمُقَلِّدُ عَامِيًّا لَا يَسْتَطِيعُ مَعْرِفَةَ الْحُكْمِ بِنَفْسِهِ، فَمَرَضُهُ التَّقْلِيدُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وَيُقَلِّدُ أَفْضَلَ مَنْ يَجِدُهُ عِلْمًا وَوَرَعًا، فَإِنْ تَسَاوَى عِنْدَهُ اثْنَانِ خَيْرٌ بَيْنَهُمَا.

الثَّانِي: أَنْ يَقَعَ لِلْمُجْتَهِدِ حَادِثَةٌ تَقْتَضِي الْفَوْرِيَّةَ، وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا فَيَجُوزُ لَهُ التَّقْلِيدُ حِينَئِذٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٩٩).

وَالْتَقْلِيدُ نَوْعَانِ: عَامٌّ وَخَاصٌّ.

فَالْعَامُّ: أَنْ يَلْتَزِمَ مَذْهَبًا مُعَيَّنًا، يَأْخُذُ بِرُخْصِهِ وَعَزَائِمِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دِينِهِ،
وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ:

فَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى وَجُوبَهُ؛ لِتَعَذُّرِ الْاجْتِهَادِ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى تَحْرِيمَهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِلْتِزَامِ الْمَطْلُوقِ لِاتِّبَاعِ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ.
وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْقَوْلَ بِوُجُوبِ طَاعَةِ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي
كُلِّ أَمْرِهِ وَمَنْعِهِ هُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَجَوَازُهُ فِيهِ مَا فِيهِ»^(١).

وَالْخَاصُّ: أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلٍ مُعَيَّنٍ فِي قَضِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَهَذَا جَائِزٌ إِذَا عَجَزَ عَنْ مَعْرِفَةِ
الْحَقِّ، سَوَاءً عَجَزَ حَقِيقِيًّا، أَوْ اسْتَطَاعَ ذَلِكَ مَعَ الْمَشَقَّةِ الْعَظِيمَةِ.

وَبِهَذَا انْتَهَتْ رِسَالَةُ الْأُصُولِ السِّتَةِ، فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُثِيبَ مُؤَلَّفَهَا أَحْسَنَ
الثَّوَابِ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.



فهرس الأحاديث والآثار

الحديث

الصفحة

- أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ ١٣٩
- أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ ١٤١
- إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ١٦٨، ١٤٧
- إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذُوا لَهُمْ ٦٢
- إِذَا كَفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ٤٧
- إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ١٥٥
- اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ١٥٠
- أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٩٥
- أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٩٨
- إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ ١٤٩
- أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ١٠٥
- أَمَرَ ﷺ بِقَتْلِ الْخَوَارِجِ ١٢٨
- أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٢٧، ١١٧، ٩٩، ٩٥
- إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ١٥٥، ١٥٤
- أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهَا ١٠٣
- أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَشَّرَهُ [أَيَّ عُمَرَ] بِالْجَنَّةِ ١٤٢
- أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ... ٢٢

- ٤٨..... أَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَوْجَبَ الْكَفَّارَةَ عَلَى الْمَجَامِعِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ
- ٢٥..... أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَسَرَ صُورَ الْأَصْنَامِ
- ٤٧..... إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ
- ٥٤..... إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ
- ١٣٥..... أَنَّهُ ﷺ يَبْدَأُ كُتُبَهُ وَرَسَائِلَهُ بِالْبِسْمَلَةِ
- ١٧..... أَنَّهُ ﷺ يَبْدَأُ كُتُبَهُ وَرَسَائِلَهُ بِالْبِسْمَلَةِ
- ١٠٠..... إِنَّهُ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ
- ١٥٠..... إِنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ
- ٣٣..... أَوَّلُمْ وَلَوْ بِشَاةٍ
- ٩٩..... أَتَيْنَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ
- ٦٤..... بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
- ١٤٥..... تَسْعَى فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا
- ١٥٠..... عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ
- ٧٦..... فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ
- ٤٧..... قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي
- ١٤٤..... لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا
- ١٥٥..... لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا
- ١٤٦، ١٤٥..... لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ
- ٧٦..... لَا يَمُوتُ مُسْلِمٌ ثَلَاثَةَ مِنْ الْوَلَدِ فَيَلْجَأَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ
- ٤٠..... لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ

- لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ ٤٩
- لَمْ يَلْعُوا الْحَنْثَ ٧٦
- اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُوا الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ٩٥
- اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ٩٢
- اللَّهُمَّ أَغْنِنَا ١٠٢
- اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ ١٠٢
- مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ ٥١
- الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْذُلُهُ، وَلَا يَحْقُرُهُ ١٤٤
- مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ ١٣٩
- مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنَ الطَّاعَةِ لِقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ ١٥٠
- مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا قَمَاتَ فَمِيسَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ ... ١٥٠
- مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ٣٣
- مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ ١٤٠
- مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ١٥٣
- الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ١٤٤
- وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ ٤٧
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ١٣٩



فهرس الفوائد

الفائدة

الصفحة

فهرس فوائد شرح كشف الشبهات

- مَرَاتِبُ الإِدْرَاكِ سِتٌّ ١٨
- الْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: صَرُورِيٍّ وَنَظَرِيٍّ ٢٠
- التَّوْحِيدُ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ «وَأَنْوَاعُهُ ثَلَاثَةٌ ٢٠
- خَطَأُ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ قَبْلَ نُوحٍ ٢١
- نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحَدُ الرُّسُلِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ أُولُو الْعِزِّ ٢٢
- الْعُلُوُّ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ ٢٢
- الإِقْرَارُ بِالرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الإِقْرَارَ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَالْإِقْرَارَ بِالْأُلُوهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ الْإِقْرَارَ
بِالرُّبُوبِيَّةِ ٢٨
- الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَءُونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ
كَثِيرَةٌ ٢٩
- اللَّاتُ أَصْلُهُ رَجُلٌ كَانَ يَلْتُمُ السَّوِيْقَ لِلْحُبَّاجِ ٣٠
- الدُّعَاءُ عَلَى نَوْعَيْنِ: دُعَاءُ عِبَادَةٍ، وَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ ٣٢
- دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ دُعَاءُ الطَّلَبِ، يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ٣٢
- الدَّبْحُ: إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدِّمِّ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ، وَيَقَعُ عَلَى وَجْهِ ٣٣
- النَّذْرُ يُطْلَقُ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عُمُومًا، وَيُطْلَقُ عَلَى النَّذْرِ الْخَاصِّ ٣٤
- الِاسْتِعَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ وَالْإِنْقَازِ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْهَلَائِكِ. وَهُوَ أَقْسَامٌ ٣٤

- يَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الشَّرِّ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الْعُمُومَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِيهِ الْأَصْغَرُ..... ٣٩
- الِاخْتِلَافُ فِي مَسْأَلَةِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْإِخْتِلَافَاتِ الْفِقْهِيَّةِ الْاجْتِهَادِيَّةِ ٤٢
- الْجَهْلُ بِالْمُكْفَرِ عَلَى نَوْعَيْنِ..... ٤٣
- الْأَصْلُ فِيْمَنْ يَتَسَبَّبُ لِلْإِسْلَامِ بَقَاءَ إِسْلَامِهِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ زَوَالُ ذَلِكَ عَنْهُ بِمُقْتَضَى الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ..... ٤٦
- الْوَاجِبُ قَبْلَ الْحُكْمِ بِالتَّكْفِيرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمْرَيْنِ..... ٤٨
- الْجَاهِلُ مَعْذُورٌ بِمَا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ مِمَّا يَكُونُ كُفْرًا، كَمَا يَكُونُ مَعْذُورًا بِمَا يَقُولُهُ أَوْ يَفْعَلُهُ مِمَّا يَكُونُ فُسْقًا..... ٥٢
- مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ..... ٥٣
- يَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ [أَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ] مِنَ الْعُلُومِ وَالشُّبُهَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِسِلَاحِهِمْ..... ٥٤
- الِاسْتِعْدَادُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ..... ٥٥
- جُنْدُ اللَّهِ -وَهُمْ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ- يُجَاهِدُونَ النَّاسَ بِأَمْرَيْنِ..... ٥٧
- الْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تُقَابِلَ كُلَّ سِلَاحٍ يُصَوَّبُ نَحْوَ الْإِسْلَامِ بِمَا يُنَاسِبُهُ..... ٥٧
- الْخَوْفُ مِنْ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّهَا هُوَ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ..... ٥٧
- مِفْتَاحُ الْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ بِأَنْ نَسْأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ بِهَا..... ٥٩
- لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْخُلَ فِي مُجَادَلَةٍ أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ حُجَّتَهُ، وَيَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِذَخْرِهَا..... ٦٠
- الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ، وَإِذَا كَانَ عِبَادَةً فَإِنْ دُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ يَكُونُ إِشْرَاكَ بِاللَّهِ..... ٧١

- النَّحْرُ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادَةً، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَرْفُهُ لِعِزِّ اللَّهِ شَرْكَاً ٧٢
- إِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ، وَمَرْجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يَأْذَنُ فِيهَا إِذَا شَاءَ، وَلَنْ شَاءَ ٧٣
- الشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ ٧٣
- الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٧٤
- إِذَا بَرَأَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِكِ بُلْجُوئِهِ إِلَى الصَّالِحِينَ، فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ ٧٧
- الْعُلَمَاءُ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ، فَهُوَ كَمَنْ كَذَّبَ بِالْجَمِيعِ وَكَفَرَ بِهِ ٨٥
- إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كُفْرِ بَنِي عُيَيْدٍ الْقَدَاحِ الَّذِينَ مَلَكَوا الْمَغْرِبَ وَمَضَرَ ٩٠
- الْإِنْسَانُ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ ٩٤
- الْمُسْلِمُ إِذَا قَالَ مَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ جَاهِلًا بِذَلِكَ ثُمَّ ثَبَّهَ فَانْتَبَهَ وَتَابَ فِي الْحَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ ٩٤
- الْإِنْسَانُ وَإِنْ كَانَ لَا يَذَرِي عَنِ الشَّيْءِ إِذَا طَلَبَ مَا يَكُونُ بِهِ الْكُفْرُ فَإِنَّهُ يُغْلَظُ عَلَيْهِ تَغْلِظًا شَدِيدًا ٩٥
- الْإِنْسَانُ إِذَا دَعَا رَبَّهُ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ عِبَادَةً يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ ١٠٢
- لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُوَحِّدًا بِقَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ ١٠٥
- الْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَا اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَلَوْ سَخَطَ النَّاسُ ١٠٦
- مَعْرِفَةُ الْحَقِّ دُونَ الْعَمَلِ بِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ بِالْحَقِّ ١٠٦

فهرس فوائد أسئلة على كشف الشبهات

- الدِّينُ شَامِلٌ لِلدُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالذَّبْحِ وَالنَّدْوَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُعَدُّ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ .. ١٧٧
- مُرَادُ النَّبِيِّ ﷺ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالْكُفْرُ بِهَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ ١١٧

- لا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُهْمَلَ نَفْسُهُ بِلَا سَلَا حِ يَرُدُّ بِهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَالسَّلَاحُ هُوَ الْقُرْآنُ ١١٨
- الشَّفَاعَةُ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَلَهَا شُرُوطٌ لَا تُقْبَلُ بِدُونِهَا ١٢٢
- شُرْكُ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شُرْكِ أَهْلِ زَمَانِ الْمُؤَلَّفِ بِأَمْرَيْنِ ١٢٣
- لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ كَافِرٌ ١٢٤
- الْمُسْلِمُ بَلِ الْعَالَمِ قَدْ يَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنَ الشُّكِّ وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَتَوَجَّبَ لَهُ الْحَذَرُ مِنَ ذَلِكَ ١٢٦
- الْمُجْتَهِدُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ كُفِّرَ جَاهِلًا وَتَابَ مِنْهَا إِذَا نُبِّهَ فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ ١٢٧
- مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَفْعَلَ مَا يُنَافِيهِ ١٢٧
- أَنْ يَسْتَغِيثَ بِالْمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ جَائِزٌ ١٢٩
- اسْتِغَاثَةُ الْمَخْلُوقِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، هَذِهِ الْإِسْتِغَاثَةُ مِنَ الشُّرْكِ ١٢٩
- مَنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ كَانَ كَافِرًا مُعَانِدًا ١٣٠
- إِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ ظَاهِرًا وَلَكِنَّهُ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ١٣٠
- الْإِكْرَاهُ لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ١٣٢

فهرس فوائد شرح الأصول الستة

- إِعْرَابُ الْبَسْمَلَةِ ١٣٥
- الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ مَعْنَاهُ: أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ١٣٨
- الشُّرْكُ عَلَى تَوْعَيْنٍ ١٤٠
- الْوَاجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الشُّرْكِ مُطْلَقًا ١٤١
- عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ١٤٢
- مَا لَا يَسُوعُ فِيهِ الْخِلَافُ فَهُوَ مَا كَانَ مُحَالِفًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ ١٤٧

- الوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنْ لَا يَحْصُلَ بَيْنَهُمْ تَفَرُّقٌ وَتَحْزُبٌ. ١٤٨
- الوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا -رُعَاةَ وَرَعِيَّةٍ- أَنْ نَقُومَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ التَّحَابِّ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. ١٥٢
- إِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَفَرَّقَتْ، وَالرَّعِيَّةُ إِذَا تَمَرَّدَتْ، دَخَلَتِ الْأَهْوَاءُ وَالضَّغَائِنُ. ١٥٢
- الْعِلْمُ الَّذِي فِيهِ الْمَدْحُ وَالتَّنَاءُ هُوَ عِلْمُ الشَّرْعِ. ١٥٣
- لَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ لِلْعُلُومِ الْأُخْرَى فَائِدَةٌ، وَلَكِنَّهَا فَائِدَةٌ ذَاتُ حَدَّيْنِ. ١٥٤
- الْعِلْمُ لَهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ. ١٥٥
- الْعُلَمَاءُ حَقًّا، هُمْ الرَّبَّانِيُّونَ، الَّذِينَ يُرَبُّونَ النَّاسَ عَلَى شَرِيعَةِ رَبِّهِمْ. ١٥٦
- أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى هُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَاتَّقَوْهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى دِينِهِ. ١٥٧
- نَصِيحَتِي لِأَخَوَانِي الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يَغْتَرُّوا بِمُدَّعَى الْوِلَايَةِ. ١٥٨
- النَّاسُ مُتَفَاضِلُونَ فِي وِلَايَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى. ١٦١
- لَيْسَ مِنْ شَرْطِ وَلِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا لَا يَغْلَطُ وَلَا يُحْطِئُ. ١٦٢
- اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا وَسَائِرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ. ١٦٤
- رَتَّبَ اللَّهُ عِبَادَهُ السُّعَدَاءَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ «أَرْبَعَ مَرَاتِبَ». ١٦٤
- كَرَامَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِبَرَكَةِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ١٦٥
- النَّاسُ فِي خَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. ١٦٥
- الاجْتِهَادُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا. ١٦٧
- شُرُوطُ الاجْتِهَادِ. ١٦٧
- التَّقْلِيدُ يَكُونُ فِي مَوْضِعَيْنِ. ١٦٨



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين	٧
المقدمة	١٥
شرح كشف الشبهات	١٧
البسمة	١٧
العلم	١٨
مراتب الإدراك	١٨
التوحيد	٢٠
أنواع التوحيد	٢٠
نوح عليه السلام أول الرسل	٢١
أقسام الغلو	٢٢
آخر الرسل محمد ﷺ	٢٤
إقرار المشركين بتوحيد الربوبية	٢٧
معنى الإخلاص لله	٣١
أنواع الدعاء	٣٢
الدبح	٣٣
النذر	٣٤

- الاستِغَاثَةُ..... ٣٤
- معنى كلمة التَّوْحِيد (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)..... ٣٥
- العُذْرُ بِالْجَهْلِ..... ٤٠
- تِمَمَةٌ: الإِخْتِلَافُ فِي مَسْأَلَةِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ..... ٤٢
- كلام شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي الْفَتَاوِي..... ٤٥
- كلام شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ..... ٤٦
- الخَوَارِجُ..... ٥٠
- مِنْ حِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً..... ٥٣
- أَعْدَاءُ التَّوْحِيدِ..... ٥٣
- الاستِعدادُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ..... ٥٥
- الْعَامِّيُّ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ..... ٥٦
- مَنْ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ..... ٥٨
- خَبَرُ النَّصْرَانِيِّ الَّذِي أَرَادَ الطَّعْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ٥٩
- ذِكْرُ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامِ احْتِجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ..... ٦٠
- الجوابُ المُجْمَلُ..... ٦٠
- الجوابُ المُفَصَّلُ..... ٦١
- شُبْهَةٌ أَنَّ الصَّالِحِينَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ بِهِ..... ٦٢
- شُبْهَةٌ أَنَّ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي مَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الْأَصْنَامِ؟..... ٦٦
- شُبْهَةٌ أَنَّ الْكُفَّارَ يُرِيدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ بَيْنَمَا مَنْ يَدْعُو الصَّالِحِينَ يَرْجُونَ مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ..... ٦٩

- ٧١ شُبْهَةٌ أَنَّ دُعَاءَ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ
- ٧٢ عِبَادَةُ النَّحْرِ
- ٧٣ الشَّفَاعَةُ
- ٨٠ مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟
- ٨١ شُرَكَ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شُرَكَ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ
- شُبْهَةٌ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِقَوْلِهِمْ: اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا
لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» ٩٢
- ٩٤ مِنْ فَوَائِدِ قِصَّةِ الْأَنْوَاطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ
- شُبْهَةٌ وَرُودُ أَحَادِيثَ فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٩٥
- شُبْهَةٌ أَنَّ اسْتِغَاثَةَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَيْسَتْ شَرْكًَا ١٠١
- شُبْهَةٌ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ ١٠٣
- لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ ١٠٥
- يَحْتُمُّ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى تَدْبِيرِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١٠٨
- أَسْئَلَةٌ عَلَى كَشْفِ الشُّبُهَاتِ ١١١
- صورة الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوط (أسئلة على كشف الشبهات) ١١٣
- س ١: مَا هُوَ مَوْضُوعُ كِتَابِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ؟ ١١٥
- س ٢: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ دِينُ الرُّسُلِ جَمِيعِهِمْ؟ ١١٥
- س ٣: مَنْ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟ وَمَا السَّبَبُ فِي بَعَثَةِ الرُّسُلِ؟ ١١٦
- س ٤: كَيْفَ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الَّذِي كَسَرَ صُورَ الْأَصْنَامِ الْآتِيَةِ: وَدَّ
وَسَوَاعٍ وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ أَصْنَامًا لِلْقَوْمِ نُوحٍ؟ ١١٦

- س ٥: مَنْ آخِرُ الرُّسُلِ؟ وَهَلْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قَوْمٍ يُنْكِرُونَ الْخَالِقَ أَمْ لَا؟ ١١٦
- س ٦: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ وَهَلْ أَدْخَلَهُمْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ؟ ١١٦
- س ٧: مَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ وَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ؟ ١١٧
- س ٨: مَا مُرَادُ النَّبِيِّ ﷺ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ وَهَلْ كَانَ الْكُفَّارُ يَعْرِفُونَ مَعْنَاهَا؟ ١١٧
- س ٩: هَلْ كَانَ الْمَدْعُونَ لِلْإِسْلَامِ فِي زَمَنِ الْمُؤَلَّفِ يَعْرِفُونَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ ١١٧
- س ١٠: مَا مُرَادُ الْمُؤَلَّفِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ»؟ ١١٨
- س ١١: مَا مَعْنَى قَوْلِ الْمُؤَلَّفِ: «وَالْعَامِيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ» إِنْخ؟ ١١٨
- س ١٢: مَا هُوَ السَّلَاحُ الَّذِي يُرَدُّ بِهِ أَعْدَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟ ١١٨
- س ١٣: مَا كَيْفِيَّةُ طَرِيقَةِ الرَّدِّ عَلَى الْمُبْطِلِينَ؟ ١١٩
- س ١٤: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الْأُولَى وَالرَّدَّ عَلَيْهَا. ١١٩
- س ١٥: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الثَّانِيَةِ وَجَوَابَهَا. ١٢٠
- س ١٦: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الثَّالِثَةِ وَجَوَابَهَا. ١٢١
- س ١٧: مَا هِيَ خُلَاصَةُ الشُّبْهَةِ الرَّابِعَةِ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا؟ ١٢١
- س ١٨: مَا هِيَ خُلَاصَةُ الشُّبْهَةِ الْخَامِسَةِ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا؟ ١٢٢
- س ١٩: اذْكُرْ مُلَخَّصَ الشُّبْهَةِ السَّادِسَةِ وَالْجَوَابَ عَنْهَا. ١٢٣
- س ٢٠: ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ شِرْكَ الْأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِأَمْرَيْنِ، فَادْكُرْ خُلَاصَتَهُمَا. ١٢٣
- س ٢١: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ السَّابِعَةُ وَالْجَوَابُ عَنْهَا؟ ١٢٤

- س ٢٢: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الشُّبْهَةِ الثَّامِنَةِ وَالْجَوَابَ عَلَيْهَا. ١٢٦
- س ٢٣: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ التَّاسِعَةُ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا. ١٢٧
- س ٢٤: اذْكُرِ الشُّبْهَةَ الْعَاشِرَةَ وَالْجَوَابَ عَلَيْهَا. ١٢٨
- س ٢٥: مَا هِيَ الشُّبْهَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالْجَوَابُ عَلَيْهَا؟ ١٢٩
- س ٢٦: اذْكُرْ خُلَاصَةَ الْحَاتِمَةِ. ١٣٠
- س ٢٧: إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ بِالْدِّينِ لِلْمُدَارَاةِ وَهُوَ يَعْرِفُهُ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ ١٣١
- س ٢٨: اذْكُرِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْإِسْلَامِ لِلْمُدَارَاةِ يَكُونُ كَافِرًا. ١٣١

- شرح الأصول الستة ١٣٥
- البَسْمَلَةُ ١٣٥
- مَقْدَمَةٌ ١٣٥
- الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ وَبَيَانُ ضِدِّهِ وَهُوَ الشَّرْكُ. ١٣٨
- معنى الإخلاص ١٣٨
- أنواع الشُّرْكِ ١٤٠
- الْأَصْلُ الثَّانِي: الْإِجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ وَالنَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ. ١٤٣
- دلالة كتاب الله تعالى على هذا الأصل ١٤٣
- دلالة السُّنَّةِ ١٤٤
- عَمَلُ الصَّحَابَةِ ١٤٥
- عَمَلُ السَّلَفِ ١٤٦
- مَا لَا يَسُوغُ فِيهِ الْخِلَافُ ١٤٧

- الأصل الثالث: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلاَةِ الأَمْرِ ١٤٩
- بَيَانُهُ شَرْعًا ١٤٩
- بَيَانُهُ قَدْرًا ١٥١
- الأصل الرابع: بَيَانُ العِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ ١٥٣
- فَضَائِلُ العِلْمِ ١٥٤
- الأصل الخامس: بَيَانُ مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ١٥٧
- عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَوِلَايَتِهِ ١٥٩
- مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي رِسَالَتِهِ: «الْفُرْقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ» ١٦٠
- الأصل السادس: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ١٦٦
- الِاجْتِهَادُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا ١٦٧
- شُرُوطُ الاجْتِهَادِ ١٦٧
- التَّقْلِيدُ ١٦٨
- فهرس الأحاديث والآثار ١٧١
- فهرس الفوائد ١٧٤
- فهرس الموضوعات ١٧٩

